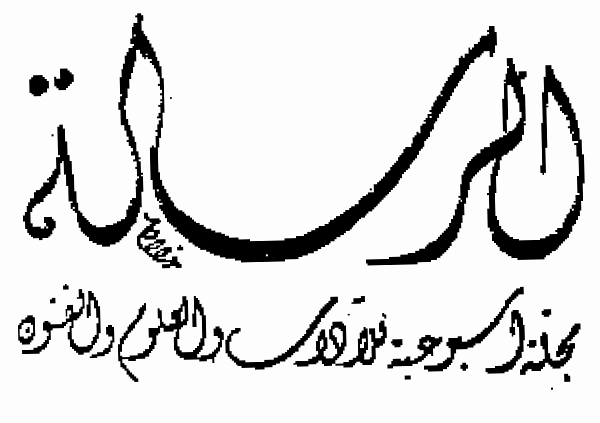
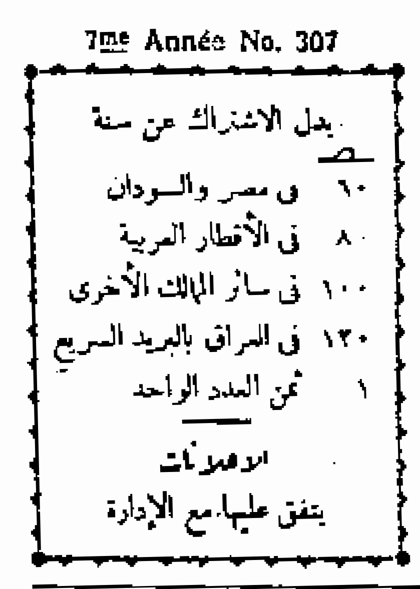
7me Année No. 307 — Lundi - 22 - 5 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٠٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

مصر العظيمة تنتصر!

في يوم وليـــلة ...

في يوم وليلة رأينا مصر المبعوثة من مرقد الخلد تدخل في عهدها الجديد الجدّي فتنهض بما توجبه الحياة الحرة من تكاليف الاستقلال وتبعات السيادة !

كان ذلك اليومُ يومَ الخميس الماضي ، وكانت تلك الليلة ليلة الثلاثاء قبله ! ففي هذا اليوم كان عرض القاهرة لجيشها الفتيّ في آلته الحديثة وعدته الكاملة ؛ تخرج من عرائنه الشُّم والصباح الضاحي يتنفس بأريج مايو الجميل ، وسار في الشوارع الحاشدة يعرض على الأنظار المدّهشة قوى الدفاع وأسلحة الأمن وما لا بد منه لمن يعيش في زمن استذأب وضرى حتى أنكر حق الحياة على نوع الحمل

لم تكن المدافع القصيرة والطويلة، ولا الدبابات الخفيفة والثقيلة، هي التي ملكت الألباب وأثارت الإعجاب وبجرت الحماسة ؛ فإن منظر آلات الدمار والموت أصبح لطول ما ألفه الحس لا غرابة فيه ولا عجب منه ؛ وإنما الذي ملك الألباب حتى أذهل ، وأثار الإعجاب حتى أدهش، وفجّر الحماسة حتى أطغى، هو منظر جنود مصر بشبابهم النارة ، وخَلْقهم السويّ ، وملامحهم الدالة ، ومظهرهم

الأخاذ، ونظامهم الرائع؛ فكأنما هم جنود ابراهيم لم يلقوا السلاح منذ ارتد تقدمهم عن الآستانة. فأين كان مكمن هذه الروح الحربية القوية مدى حقبة من الرخاوة والكسل لو مرت على الضوارى لطمست فى وجوهها معارف الجرأة، وأماتت فى نفوسها معانى الافتراس؟ لقد كان لنا قبل سبتمبر الماضى جيش من الأرقام متواضع العدد والعدة، يعيش فى أكناف الشعب عيش الأمان والثقة، لا يعرف الحدود إلا على الورق، ولا يشهد الحروب إلا فى السينما، ولا يدرك معنى الدفاع عن النفس فى وجود انجلترا إلا كما تدرك الزوجة المرفهة فى وجود زوجها، والولد المدلل فى حضرة أبيه. فكيف انقلب هذا الجيش الصغير الغرير فى سبعة أشهر جيشاً من المردة العتاة يقيم المعاقل على البحر، وينحت الخنادق فى الصخر، ويروض أوعار الأرض لأقدامه، ويذلل أخطار السماء لقوادمه، ويضع الخطة فلا تخطئ، ويسدد الرمية فلا تطيش، ويقف جنباً إلى جنب مع الجيش الذى قهر نابليون وهزم غليوم وغنم الدنيا، فلا يفوقه فى نظام، ولا يفوته فى سبق، ولا يبذه فى مناورة؟ ألسر فى معدن هذه الأرض التى جعلت للزمان تاريخاً وللانسان مدنية. والسحر فى طبيعة هذا الفلاح الذى طبع آثاره على جباه القرون وسلطانه على قلوب الأمم. وفرخ النسر لا يعلم كيف يصيد، وشبل الأسد لا يدرب كيف يفترس!

* * *

وفى تلك الليلة كانت تجربة الدفاع الجوى عن القاهرة. ففى عتمة الليل والناس لاهون صاحت الأبواق المنذرة بالغارة فى كل حى، فأطفئت الأنوار وأسدلت الأستار وخشعت الأصوات وسكنت الحركات، وأقفرت الشوارع إلا من رجال الشرطة والمطافئ والإسعاف، وجثم على صدر العاصمة كابوس من الرهبة والقلق، فامتدت العيون خلسة من وراء السجوف ومن خلال النوافذ فلم تر إلا الظلام يموج، والنجوم تضطرب، والرقابة تحت الحنايا الآمنة تتهامس، والمدافع فوق المآذن العالية ترتقب. ثم أقبلت من الحدود الغربية النسور المغيرة فرنقت فى جو المحروسة على علو لا يُرى ولا يسمع؛ ولكن آلات الرصد نبهت الكشافة فأرسلت على أطباق الجو الحالك أمواجاً من الأشعة الخاطفة، تتطاول وتتعارض، وتتعانق وتتشابك، حتى لم تدع طائراً يطير إلا صورته فى عدسة مدفع. وفى آخر الهزيع الأول من الليل أعلنت الأبواق بأصواتها المتصلة انقطاع الغارة، فأشرقت المدينة، واستأنف الناس حياة اللهو والأنس وهم يشعرون أنهم أصبحوا خلقاً كسائر الخلق لهم قوة لا تزدرى، وكرامة لا تمتهن، وحمى لا يستباح

فى هذه الليلة وفى ذلك اليوم أدركنا أن مصر الناهضة قد بلغت سن التكليف وجاوزت حد العبث؛ فهى تستعد للحرب وللسلام، وتبنى بالفعل لا بالكلام، وتقدم إلى ساحة الدفاع المقدس شيوخ دينها وشباب دنياها، وهى راضية بهذا البذل فخورة بهذه التضحية. والفضل كله للأحداث التى تذيب الغش وتفضح الزيف وتمحص الكناية

* * *

لا جرم أنا كسبنا مغانم الحرب وإن لم تكن حرب. لأننا بما عملنا أوجدنا شيئاً لا بد من إيجاده، وبما بذلنا سددنا عوزاً لا مناص من سداده. أما الدول الأخرى فدفاعها مكين الأساس مرفوع القواعد منيف الذرى، فكل ما تنفقه عليه يضطرها الخوف إليه لتأمن الفشل وتضمن العاقبة.

ماذا كنا قبل أن ينتشر الجراد الروى المسلح على حدودنا المهملة؟ كنا قوماً من سادة الماشية وعبيد الأرض تركوا أزمتهم للقدر وثروتهم للغريب وحمايتهم للحليف، ثم أقبل بعضهم على بعض يتنافسون فى الهزل من غير غرض، ويتراشقون بالتهم من غير بينة، ويتسابقون إلى الحكم من غير غاية. فلما أينع الحصاد وأز فى الأفق الجراد وزأر بالوعيد الطغاة، تيقظت مصر الصادقة الحرة على ضفاف النهر وأحقاف الرمل ورياض الريف، ثم وقفت فى شكتها الكاملة موقف الواثق الحذر وهى تنظر إلى الشفق الدامى فى وجه الغرب، وتقول للطامع الساعى لإثارة الحرب: حذار! فإن على عرش الفاروق خليفة الله، لا كليوبطرة صديقة قيصر!

احمد حسن الزيات

لقاح العقول أو لقاح الأنساب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أسرته الأصيلة من الفلمنك

وانتقل جد من جدوده إلى النمسا فأقام في الأقاليم البوهيمية

واتصل هو وأبناؤه من بعده بخدمة آل هابسبرج

وبنى جده لأبيه بيونانية من جزيرة أقريطش ، وبنى أبوه بيابانية من أذكى نساء اليابان

ذلك هو مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده ، واسمه الكونت « ريتشارد كوديتهوف كاليرجى »

أما اسم الكتاب فهو « حكومة الاستبداد حيال الإنسان »

The Totalitarian State Against Man

* * *

قرأت هذا الكتاب فقرأت عجباً من تآلف الأفكار الغريبة ، وتقارب الأقطار البعيدة ، واختلاط الأساليب التي امتزجت مع الماضي مئات القرون

هنا شيء من اليابان لا شك فيه ، وشيء من اليونان لا شك فيه ، وشيء من تعبد الفلنكيين ، وشيء من جماح البوهيميين ، وشيء من أدب البلاط ، وشيء من مساواة الحرية ، ولكنك لا تستطيع أن تفرزها ولا أن تستخرج كل خيط من خيوطها مستقلاً عن سائر شباكها

وكل ما تستطيعه أنك تحس لكل جنس من هذه الأجناس أثراً في مزج الأفكار وصياغة الألفاظ وتنسيق الحلية الكتابية .

وقد تجزم الجزم الأكيد أن اليابانى وحده لن يصنف الكتاب على هذا الأسلوب ، وكذلك اليونانى والبوهيمى والفلنكى ورجل البلاط وجوَّاب الآفاق، ولكنهم إذا اتصلوا بالأنساب والثقافات كما اتصلوا في ذهن هذا المصنف نتج من تلاقح أذهانهم وثقافاتهم مثل هذا الكتاب

* * *

خذ مثلاً هذه الكلمات :

« الإنسان من صنع الله ،

والحكومة من صنع الإنسان .

الإنسان غاية وليس وسيلة ،

والحكومة وسيلة وليست بغاية .

قيمة الحكومة هي قيمة ما تؤديه من الخدمة لمن فيها من الخلائق الإنسانية . فكلما خدمت الإنسان وعاونته على التمام والكمال فهي حسنة ، وحيثما بدر منها التعطيل لتمامه وكماله فهنالك الشر والسوء

الحكومة ليست شيئاً حياً ولا جسداً حياً ولا عضواً حياً ؛ ولكنها آلة أو أداة مجعولة لخدمة الإنسان في صراعه للفوضى والاختلال

الإنسان مخلوق حي ، والحكومة أداته للخير أو للشر ، وللنفع أو للإضرار إذ ليست الحكومة كائناً إنسانياً ولكنها مع هذا تريد أن تكون أكثر من إنسان

ليست هي إلهاً فهي إذن تصبح صنماً

يصنعها الناس وتطلب منهم العبادة

وهذه المصنوعة الإنسانية تعدو طورها فتتخذ لنفسها مكان الوساطة بين الله والإنسان !

هذه الآلة المصطنعة تحسب نفسها مخلوقة عضوية حية ...

وهذه الخادمة التابعة تتخايل أمام بنى الإنسان في زهو السيادة !

إننا نعيش اليوم في أخطر عصور الانقلاب التي مرت بها الدنيا ؛ لأنه عصر انقلاب الحكومة على نوع بنى الإنسان !

إننا نعيش في أسوأ ما عهدنا من عصور عبادة الأصنام ؛ لأنه عصر تأليه الحكومات »

* * *

ومثل آخر من خواطر هذا الكتاب النفيس ما جاء منه في مستهل الكلام على الديمقراطية والنظم النيابية حيث يقول :

« الحرية مثل أعلى وغاية منشودة

الديمقراطية مبدأ وقاعدة

النظام البرلمانى هو وسيلة أو طريق

والخلط بين هذه المعانى يؤدى إلى تشويش مريع

فانجلترا حرة ولها نظام برلمانى ؛ ولكن دستورها يعتمد

على الديمقراطية بعض الاعتماد لا كل الاعتماد ؛ لأن المجلس الأعلى والتقاليد الوراثية ليست من الديمقراطية بلا خلاف

وروسيا وألمانيا وإيطاليا ليست بحرة وإن كان لكل منها دستور قائم على سيادة الأمة وعلى مبدأ الكثرة في ولاية الحكومة كما تقضي أصول الديمقراطية

والولايات المتحدة وسويسرة حرتان وديمقراطيتان ولكنهما على غير الوضع النيابي مذ كانت الحكومة فيهما لا تسقط بانتزاع الثقة البرلمانية منها

واليابان لها نظام برلماني ولكنها ليست بالديمقراطية ، لأن دستورها لم يؤسس على سلطان الأمة بل على سلطان الامبراطور . وهو — أي الامبراطور — يقبل باختياره أن يشرك معه الحكومة البرلمانية

ومن المحتمل جداً أن تتصور حكومة حرة تحترم حقوق الأفراد على أيدي قلة متساعة ، كما تتصور حكومة متعسفة تقيد الحريات جميعاً على أيدي كثرة تدين بعقائد الاستبداد

فالروح الموحية أهم وأقوم من نصوص الدساتير . وحيثما بطل اليقين بالإنسان والاعتداد بحقوق الأفراد لم يكن عجيباً أن يفضي بنا الانتخاب العام إلى الاستبداد ؛ لأن المستبد والشعوذ السياسي ليسا بالنقيضين ، ولكنهما قرينان متماثلان »

* * *

وكل فصل من فصول الكتاب حافل بهذه الدقائق وهذه القضايا وهذه التعريفات

هنا ولا شك أناقة الياباني في التنسيق وخفة الياباني في الحركة

وهنا ولا شك نفاذ اليوناني إلى بواطن المعاني الفلسفية والحدود المنطقية

وهنا ولا شك جنوح الفلنكي إلى صبغ الحقائق بصبغة العبادة والأسرار

وهنا ولا شك طلاقة البوهيمي ، وكياسة الرجل البلاطي ، وثقافة الإنسان الحديث

إنك لا تشك في خصلة من هذه الخصال كما لا تشك في اختلاف النهج والأداء لو كان الكاتب يابانياً أو يونانياً أو فلنكياً أو بوهيمياً غير مختلط بما عدا سلالته وثقافته من السلالات والثقافات

ولكن أين هذا وأين ذاك ؟

أين يبتدئ هذا التفكير وأين ينتهي ذلك التفكير ؟

وما وسيلتك إلى منع عنصر من تلك العناصر أن يظهر في منهج الكتاب وأدائه إن كانت بك حاجة إلى امتناعه ؟

وما وسيلتك إلى زيادة عنصر من تلك العناصر إن كانت بك حاجة إلى ازدياده ؟

لقد شغلني التوجه إلى هذا المعنى أثناء القراءة حتى خيل إليّ أنني في معمل من معامل الطبيعة أرقب فيه براعتها في الخلط والمزج والجمع والتفريق

أو خيل إلى أنني أمام مسرح التاريخ الكبير يتناول اللاعب القدير على خشباته نسيج الأحقاب والأعقاب منذ ألوف السنين فيداخل بينها ويواشج بين خيوطها على نمط من السرعة لا تضبطه بعينك في مكان واحد ، ولكنك تضبطه كله حين ينتهي إلى النتيجة فإذا هو هنالك حيث لا تدري من أين اتصاله ومن أين انفصاله في مجمل النسيج

ورب كلمة من كلمات الكتاب لها اتصال بجزائر اليابان ، وكلمة أخرى لها اتصال بشعاب البوهيميين ، وكلمة مجاورة لها قد جاءت من أقصى المغرب أو من أقصى الشمال

إن النظر إلى هذا لأمتع من النظر في حقائق الكتاب ، وإن كانت حقائقه من المتعة بمكان

* * *

ثم يجول في الذهن خاطر آخر هو فضل هذا اللقاح العجيب في تحسين العقول أو في تحسين الطباع .

هل تستفيد « الإنسانية » بامتزاج كهذا الامتزاج يعم جميع الأجناس في المشرق والمغرب ، ويعم جميع الثقافات وجميع المذاهب والآراء ؟

أو هل هي قيمة واحدة من القيم الكثيرة نحتفظ بها ونحتفظ معها بصفاء الأصول وافتراق السلالات ، وما في كل سلالة من مزية ورثتها واستقلت بها بعد تحضير طويل في معمل التاريخ ؟

يحضرني في هذا الصدد ما يصنعه مولدو الأزهار من مختلف الأحجام والألوان والأصول

روقهم أن ينبتوا الوردة السوداء فيستفيد عالم النبات فائدة

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الشعر والنثر

قدمنا أن الأدب ينقسم إلى الأدب الإنشائى والأدب الوصفى . فالآن نبين أن الأدب الإنشائى ينقسم قسمين : شعراً ونثراً[1]

فالشعر أو القريض ، كلام موزون مقفى

الوزن أن يكون للكلام مقادير محدودة من الحركات والسكنات متتابعة على نسق خاص . فينشأ من هذا التتابع نغمة وتختل هذه النغمة إذا زادت الحركات والسكنات أو نقصت ، أو اختلف تأليفها .

والتقفية أن تكون أبيات القصيدة الواحدة متشابهة فى أواخرها ولا سيما الحرف الأخير . فى قول المتنبى :

(١) يرى علماء الأدب واللغة أن الشعر مأخوذ من شعر بمعنى فطن ، أكبر العرب هذا الضرب من الكلام فخصوه باسم الشعر وسموا قائله شاعراً ، وعدوه ملهماً ممتازاً بشعور ومعرفة

ويجوز أن يكون الشعر مأخوذاً من شعر بمعنى غنى . ويقرب هذا أن كلة شير فى العبرية معناها الغناء ، وأن العرب يقولون أنشد شعراً والانشاد رفع الصوت .

والنثر مأخوذ من نثر الحب نثراً أو نثاراً إذا فرقه وقد روى عن ابن مسعود وحذيفة فى قراءة القرآن : « هذاً كهذ الشعر ونثراً كنثر الدقل » أى كما يتساقط الرطب اليابس من النخلة إذا هزت — فلما سمى الشعر نظما تشبيها بالعقد المنظوم ونحوه سمى الكلام غير الموزون نثراً كما ينثر العقد

لا شك فيها إذا أضيف ذلك اللون إلى ألوان الورود

ولكنه يجنى على الورد وعلى عالم النبات لا سيما إذا تمادى فى تجاريبه حتى يزول الورد الأحمر والورد الأبيض والورد الذى يولد على ألوان مختلفات بغير تخليط وتهجين

وخير لبنى الإنسان أن يحملوا التآلف وهم مختلفو العناصر متعددو المزايا جامعون بين فضائل العنصر القح والعنصر الهجين من أن يتآلفوا وهم لون واحد فقير المزايا قليل الاختلاف

على أننى أحمد هذا اللقاح وأتمنى لو يظفر الفكر الإنسانى بألقاح شتى من غير هذا القبيل كما ظفرنا بذلك النمط من ذلك القبيل

عباس محمود العقاد

وقفت وما فى الموت شك لواقف   كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

تجد البيتين على وزن واحد تتوالى الحركات والسكنات فيهما على نسق متفق وينتهيان بكلمتين متشابهتين فى الوزن وفى الحرف الأخير . وهما نائم وباسم . وسيأتى تفصيل هذا فى باب الشعر

أما النثر فكلام لا يلتزم فيه وزن ولا قافية

وتعريف الشعر والنثر بهذين التعريفين فيه نظر إلى الألفاظ لا إلى المعانى

وأما تعريفهما من جهة المعنى فالشعر كلام تنشئه عاطفة قوية أو خيال والنثر كلام مطلق يكون أحياناً مبنيًّا على الفكر المرتب ، وأحياناً ناشئاً من العاطفة والخيال كالشعر . فالنثر من جهة المعنى أعم من الشعر

والتعريف المأثور عن أدباء العرب هو التعريف الأول — التعريف اللفظى

وقد نظر قدماء اليونان إلى معنى الشعر دون لفظه فقالوا إنه الكلام المبنى على الخيال المؤثر فى النفس بالترغيب أو التنفير[1]

والحق أن العرب حين نظروا إلى صورة الشعر فعرفوه التعريف السابق لم يهملوا جانب المعنى فيعدّوا كل منظوم شعراً . بل كان الشعر عندهم من جهة معانيه كالشعر عند اليونان . قال قدامة فى نقد النثر : وإنما سُمى شاعراً لأنه يشعر من معانى القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره . وإذا كان إنما يستحق اسم الشعر بما ذكرنا فكل من كان خارجاً عن هذا الوصف فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى[2]

وإنما نظروا إلى الجانب اللفظى لأنه الجانب المحسوس الواضح الذى لا يشارك الشعر فيه النثر . وربما كان أول من عرّف الشعر العربى رجال العروض الذين ينظرون إلى ألفاظ الشعر دون معانيه وكذلك اليونان حين عرفوا الشعر من جهة المعنى لم يكن

(١) ونجد فى الكتب العربية هذا التعريف بألفاظ مختلفة : عرف الجرجانى الشعر بأنه قياس مؤلف من المخيلات . والغرض منه انفعال النفس بالترغيب أو التنفير

وفى كتب المنطق : الشعر هو القياس المركب من مقدمات يحصل للنفس منها القبض والبسط

(٢) نقد النثر ص ٦٦

شعرهم خالياً من الوزن والقافية ولكنهم نظروا إلى ناحية دون أخرى

والشعر والنثر مشتركان في قواعد البلاغة وقوانين الكلام وإن كان الشعر في جمله أميل إلى المجازات والاستعارات من النثر . قال قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر :

« وقد ذكرنا المعاني التي يصير بها الشعر حسناً وبالجودة موصوفاً ، والمعاني التي يصير بها قبيحاً مرذولاً . وقلنا إن الشعر كلام مؤلف ، فما حسن فيه فهو في الكلام حسن ، وما قبح فيه فهو في الكلام قبيح . فكل ما ذكرناه هناك من أوصاف حد الشعر فاستعمله في الخطابة والترسل ، وكل ما قلناه عن معايبه فتجنبه هنا[1] » .

ولكن يختلف الفنان فيما يعالجان من الموضوعات وفي طريقة البيان إجمالاً . فالأصل في الشعر أن يتناول الأمور التي هي أدخل في العاطفة والخيال ، وأن يتأنق في التصوير والتجوز . والأصل في النثر أن يتناول الموضوعات الطويلة التي تحتاج إلى تفكير وتوضيح وأن يبين إبانة طبيعية ، وربما يشارك النثر الشعر في موضوعاته فقد كتب الكتاب منذ القرن الرابع في الفخر والهجاء والمدح والعتاب والغزل الخ وربما يشاركه في مجازاته وأساليبه كذلك .

ولكن يبقى بعد هذا أن الشعر والنثر في أصلهما مختلفان في الموضوع وطريقة البيان ، ولولا اختلاف الشعر والنثر في الموضوع والتصوير لكان الكاتب المجيد شاعراً مجيداً إذا استطاع أن ينظم ، ولكان الشاعر المجيد أجود في كتابته حين يتحلل من قيود النظم ، ولكن الإجادة في الاثنين معاً لا تتفق لأكثر الناس . وقد سئل أبو إسحاق الصابي عن الفرق بين الكتابة والشعر فقال :

« إن طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه ؛ لأن الترسل هو ما وضح معناه وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنته ألفاظه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة » ثم علل الصابي قوله هذا بفسحة النثر وضيق النظم

وكلام الصابي ليس صحيحاً على هذه الصورة لأن الغموض لا يحسن في النثر ولا في الشعر وكأنه أراد أن يقول : إن الشعر

(١) نقد النثر ص ٨٣

من برجنا العاجي

« . . . لم يتيسر لي قراءة كل كتبك . إنما الذي قرأته لك هو مقالات وقصص ومساجلات في الصحف والمجلات ومع أن كل آرائك حرة وجريئة إلا أن رأياً واحداً هو الذي ملك شعوري وكياني : (إن من ملك قلباً حاراً ولساناً حراً فهو الذي يستطيع أن يسود العالم) . سيدي : إن قلبي لحار وإن لساني لحر وبهاتين الوسيلتين يعظم أملي في المستقبل . إني أعشق الجمال وأحب الأدب الرفيع ولكنهم يريدونني أن أكون معلماً بإحدى المدارس الإلزامية . إن جو القرية يكاد يخنقني . أريد أن أؤدي رسالتي في الحياة ، وهي رسالة الكاتب الموهوب ، لا أن أعيش على هامش الحياة ! إنه ليسرني أني استطعت إسماعك صوتي . فإن رأيت يا سيدي أن هذه النواة أهل للحياة فتعهدها بالغرس والري . لي من حسن الأمل فيك ما يجعلني أطمئن إلى أنك لن ترى برسالتي في سلة المهملات . . . »

قبل كل شيء ، أحب أن أقول لصاحب هذه الرسالة أن يحسن ظنه بحياته . فلئن كان هنالك إنسان يعيش على هامش الحياة فهو أنا صاحب هذا البرج القصي . إن جو القرية لا يمكن أن يكون خانقاً لقلب الشاعر . وإن مهنة التعليم والعمل على تكوين نفوس نبيلة ، ونفخ روح الجمال في نشء ساذج ، وإيقاظ عيون صغيرة على حسن الطبيعة ؛ كل هذا خلق فني في ذاته . ولكننا لا نريد أن نرى الخلق إلا في مقال يكتب ، ولا المجد إلا في هراء ينشر . هنالك شعراء عظام ما فارقوا قراهم قط وما تركوا صناعاتهم الصغيرة قط . إن القلب الحار يسبغ الخير والجمال على ما حوله . ولو كان لصاحب هذه الرسالة قلب حار حقيقة لظهر لهذا أثر في قريته ومدرسته أولاً ثم في مادة نفسه ثانياً . فالقلب الحار يحتاج إلى وقود ليشع ولا يخمد وأيسر الوقود الكتب . وصاحب الرسالة لا يقرأ كتباً ولكنه يطالع مطالعات سطحية سريعة ناقصة . كم من الأعوام وكم من أكداس الكتب تلزم للقلب وقوداً حتى يقال إنه « قلب حار » !

توفيق الحكيم

أقرب إلى الإجمال فى بيانه . وقيوده تحول دون الإيضاح الذى يملكه الناثر

فطبيعة النظم تبيح للشاعر شيئاً من الغموض والتقديم والتأخير لا يباح فى النثر ، ولكن الغموض ليس مستحسناً فى منظوم ولا منثور

وقال ابن خلدون فى الفرق بين الشعر والنثر :

واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد المختص بالخطابة ، والدعاء المختص بالخطابات وأمثال ذلك

وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الأسجاع والتزام القافية وتقديم النسيب بين يدى الأغراض ، وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا فى الوزن »

عبد الوهاب عزام

خواطر

للأستاذ فليكس فارس

— ١ —

« لم يكد صانع الأحذية السيد فيكانى السورى العربى يصنع أحذية عقيلة الرئيس روزفلت حتى اهتمت البلاد كلها باختراعه فأصبح الرجل الفاشل المعدم بالأمس « رجل الساعة فى الصناعة » تنهال الطلبات عليه من كل صوب ، وتحوّل مصنعه لتصليح الأحذية العتيقة معملاً كبيراً يجتذب ملايين الزبائن. وهكذا حقق « الصغير الفيكانى » فى الولايات المتحدة ما حلم به فى قريته منذ ثلاث وأربعين سنة فى وطنه الثانى »   (اسوشيتد برس)

هذه كلة من إحدى كبريات جرائد الولايات المتحدة موقعة بإمضاء كاتب من أشهر الكتاب فى العالمين الجديد والقديم

وقد وقفنا على مقال فى مجلة (المناهل) التى تصدر فى مدينة بونس إيرس عن قصة الفيكانى فاخترنا تلخيصها :

« قدم السيد الفيكانى من سوريا وقد ضاقت بوجهه سبل الارتزاق من حرفته .فنزل فى بلدة « كريندال » حيث اتخذ له دكاناً لترقيع أحذية الفقراء فكان دخله يكاد لا يفى لتأمين معيشته .

ولكنه لم يستسلم للضيم وأخذ يفكر ويجرب على نور اختباراته فى صنعته حتى وفق أخيراً إلى اختراع قالب لحذاء يتمتع مستعمله بالراحة التامة مهما كان شكل قدميه ومهما تجشم من مشقة السير أو الوقوف ، وسجل اختراعه. وما عتم حتى أقبل أهل القرية على استعمال أحذيته ؛ فابتسم له الحظ ، إلا أنه بقى يزاول عمله بيديه لعدم وجود رأس مال كاف يستعين به على بناء مصنع كامل العدة إلى أن وقع نظره يوماً على صورة للسيدة إليونور عقيلة الرئيس روزفلت فتأكد من ملامح وجهها أن حذاءها يؤلم رجليها ، فقصد العاصمة . وهناك بدأ من جهة يتسقط المعلومات اللازمة لتهيئة الحذاء الذى سيفتح له باب الشهرة والثروة ، ومن جهة أخرى يراجع ذوى الشأن للحصول على مقابلة السيدة الأولى حتى بلغ القصد بعد انتظار دام تسعة أشهر. وما مثل لديها وعرض الحذاء المبتكر حتى انتعلته وسارت تتخطر فى القاعة جذلة راضية وهى تردد عبارات الثناء؛ ثم أوصته بصنع أزواج عديدة فكان هذا الطلب فاتحة شهرة الرجل وباب ثروته »

* * *

ليتسم من يشاء لهذه القصة من الشبيبة المتفقة الحالمة بتربع دسوت الوزارات والمتهافتة على باطل الأمجاد وكاذبات الأمانى ، المحتقرة لكل عمل لا تدور به عناصر التحكم بالناس والترفع عن كل حرفة ، فإن من هذه الشبيبة فئة علمتها عثرات الآمال أن تعتمد على نفسها وتنطلق فى ميادين الأعمال الحرة من أى نوع كانت ، وهذه الفئة تباهى بالإسكاف الوضيع الذى عرف أن يجعل السيدة الأولى فى أعظم الأمم ثروة وعدداً وجهداً تشهد بفضله وتثنى عليه لأنه ابتكر طريقة تريح الناس من عناء تحملوه عبثاً حتى كشف سره وهو لا يحمل شهادة الفلسفة بل لعله أمى لا يعرف من العلم شيئاً

ليس من عمل حقير فى العالم إلا العمل الذى تديره يد متواكلة بتفكير حقير ...

إن فى حرفة الكناسة مجالاً للعبقرية ، كما أن فى مهمة إدارة الأمم مجالاً للحماقة والغرور . ولو أن كل فرد فى هذه الأمة اتجه إلى إتقان عمله باذلاً فيه كل جهده لبدت طلائع الرقى بين الطبقات الوضيعة قبل أن تبدو بين الطبقات العليا

إن حياة الأمم تبدأ بانتباهة الفرد ونشوء فكرة التضامن

بين جماعاته الصغرى . فلو عملت الفئة الناهضة المثقفة في هذه البلاد على إثارة هاتين القوتين في المزارع والقرى الصغيرة لقضت على التواكل والخمول ولرأينا بدلاً من الشعب الذي يتوقع من حكومته كل شيء، شعباً واثقاً من نفسه يقيم كل شيء على سواعده

أما يكفي الأمة لتحيا أن يكون حاكوها منها ولها وأن يعدل القضاء بين أفرادها ؟

— ٢ —

كلمة قد تجيء ثقيلة على بعض الأسماع، وقد يتلقاها من توجه اليهم بالصمت والتبرم ولكنها كلمة حق الجهر بها علينا لأننا اعتقدناها حقاً

لقد كثر عدد الكتاب والشعراء الذين يملكون البيان الصحيح ولكن قل بينهم من ينطق بهذا البيان بلهجة العربية الأصلية محررة من كل لكنة دخيلة أو رطانة أجنبية

وإن نحن أردنا تصنيف اللهجات التي تصدها فصاحة اللغة وتتملل منها مقاطعها وحروفها وحركاتها وسكناتها أمكننا أن نردها إلى أصلين : اللهجات التي أدخلتها العامية على الفصحى، فمنها ما حولت الجيم إلى جيم أفرنجية تتنافر وسائر الحروف الحلقية، والألف إلى ألف فارسية تخرج مفخمة من الخياشيم كأن عليها « أ كسانسير كونفلكس» مزدوجة[1]، ومنها ما حسبه بعض المتحذلقين نهاية الإبداع بالاحتفاظ بالحركات النحوية في أواخر الكلمات وبخاصة عند الوقف فتأتي الحركة نافرة كأنها الشجى في حلق المتكلم أو كالقرار الموسيقي الافرنجي المقطوع على بقية كذنب كلب الراعي

أما الأصل الثاني فرطانة جميع لغات الدنيا نازلة منزلة الضيف غير المحتشم على مخارج حروفنا وموسيقى مقاطعنا

إن الفرنسي عند ما يتكلم بلغة أجنبية لا يكاد يتلفظ بجملة واحدة حتى تسمع لغة أمه نافرة بغنتها من فمه مشوهة اللغة الأجنبية، وهكذا الإنجليزي والألماني والإيطالي الخ ..

أما نحن أصلح الله عيب التقليد فينا ، فإننا نتكلم لغات العالم محتفظين لكل منها بفصاحتها، وبيننا من يبز الانكليز والفرنسيين بنقاء لهجته ، غير أن الكثيرين ممن تلقوا العلم في المدارس الأجنبية أو تسنى لهم أن يمضوا ولو مدة صيف واحد في أوربا تشل عضلات أحناكهم أو تتشنج أعصابها فيأتون السامعين بعجائب الفصاحة وغرائبها حتى ليصعب عليك لأول ما يطلق الخطيب أو الشاعر صوته في الراديو أو على المنبر أن تميز اللغة العربية فيما يقول ، ولكم من عربي ابن عربي بيننا تحسبه أحد الآباء القادمين من فرنسا أو أحد المرسلين من انكلترا ...

* * *

دخلت امرأة أجنبية إلى مخزن لتشتري قماشاً فطلبت من المستخدم أن يريها بضاعة شرحت أوصافها على قدر ما تسمح لها معرفتها بالعربية فأوردت ضمير المخاطب بدل ضمير الغائب وقلبت المذكر مؤنثاً والمؤنث مذكراً ، واستبدلت بالفاء والعين والقاف حروفاً من لغتها فإذا بالمستخدم العربي يتقدم مدلياً ببيان طويل عما لديه من الأصناف باللغة التي خوطب بها دون ارتكاب خطأ واحد فوقفت السيدة تتفرسه قائلة :

— آجيب هو انتي من مملكت بتاع أنا .

وإذ أجاب المستخدم نفياً أطلقت لسانها بالسباب والشتم وخرجت من المخزن معتقدة أن حضرته يهزأ بها ويقلدها ليحتقرها

مسكين هذا المستخدم، إنهساير الأجنبية تملقاً بقصد تصريف بضاعته ، فأية بضاعة يريد تصريفها بعض المقلدين بيننا حتى من رجال الأدب ، وأي معنى لهذه المسايرة السخيفة التي تضحك الأجانب أنفسهم .

بقيت كلمة لن أدعها عالقة بقلبي ، وإن كنت أعلم أنها ستغضب كل من سطت العادة على ذوقه سواء أكان سليماً أم غير سليم .

من أية لغة اقتبس حرف « أ » في كلمة « أب » ؟ وليس في لغات العالم ما يشبه هذا الصوت الذي تحسبه قرعة دف فلا يمكن كتابته إلا إذا خلقت ألفاً جديدة تتركب من سائل القاف ومسحوق الضاد وشيء من صيحة الاستنفار ثم أتيت بالباء مشددة بأربع شدات، وقد لا نصل بهذا الإملاء إلى تمثيل خشونة هذه الكلمة وثقلها مع أنها من ألطف ألفاظ العربية ومن أروعها تمثيلاً لعطفة الطفل على والده .

وأخيراً أتمنى لو عمل هؤلاء المصابون بداء الرطانة والحذلقة على الاستشفاء بإصغائهم إلى فصحاء هذا الجيل كالأستاذ الأكبر المراغي والأستاذ أمين الخولي مثلاً في النثر ، وكالأستاذ الجارم والأستاذ أحمد رامي في الشعر ، فإن تصحيح اللغة على الألسن ليس بأقل أهمية من تصحيحها في الجرائد والكتب

(الاسكندرية) فليكس فارس

(١) ومنها التاء المربوطة تلفظ تاء ساكنة عند الوقف بدلا من التلفظ بها هاء.

أعلام الأدب

هجرة يوريبيدز

للأستاذ دريني خشبة

ساءت حالة أثينا والأثينيين بعد موت بركليس (٤٢٩ ق . م) ، وأخذت المصائب تترى عليها في الداخل والخارج ... في الداخل على أيدي تلك الطغمة الشقية من زعماء الشعب وقادته الذين نبتوا بغتة فورثوا الزعامة كما ورثها ألسيبادس النزق الطياش من بركليس العظيم ، أو تملقوا الجماهير الغافلة التي لا إرادة لها . فأسلست لهم قيادها فأوردوها المهالك بعد ما ضللوا بها تضليلاً كبيراً متخذين من فساد الديمقراطية بعد موت بركليس سلاحاً يشهرونه في وجوه العقلاء والمفكرين .

أما في الخارج فقد تتابعت الهزائم على جيوش أثينا ، وأحرق الأسبرطيون حقول أتيكا وقراها ودساكرها كما صنع الفرس من قبل ، ثم حطموا قوة أثينا البحرية التي كانت تلقي الرعب في قلوب الدويلات الهيلانية .

كان يوريبيدز يرى ما حل ببلده الأثير المحبوب وهو جالس كالقديس في كهفه الجميل الفريد في صخرة سلاميس فيأخذه الوجد ، ويحزن أبلغ الحزن على ما آلت إليه الحال في أثينا من انحطاط مستوى الشعب الخلقي ، وتضليل الزعماء بالناس ، وانتثالهم على جاه الرياسة الزائف في حين قد أصبحت حرمات الوطن حلاً لكل والغ ، ففي كل يوم غزو ، وفي كل يوم تهمر لعزة الوطن ، والإسبرطيون في كل فج يذلون العزة القومية ، وينشرون الفقر ، والأقوات مقبوضة في أثينا ، والأمراض تفتك بالأهلين ، والأهلون لاهون عن كل ذلك بالجدل السياسي العقيم ، وبإلقاء التهم جزافاً على رأس كل وطني مخلص . فيوريبيدز كان يدعو للسلم لأنه كان يتمنى الهزيمة لبني وطنه ... فليُنَبَّذ يوريبيدز إذن ... وليذكر ماضيه الزاخر بعداوته للمرأة وإلحاده بالآلهة ، واستهتاره بتقاليد السلف الصالح ، والفت بدعوته للسلم في أعضاد الجند ... ثم هو يسخر بالديمقراطية فهو من شيعة الاستبداد ... ثم هو تلميذ السوفسطائيين الملاحدة وصديقهم ، وأحد المبشرين بآرائهم ... فليؤخذ أخذاً شديداً لا هوادة فيه ولا مرحمة .. ولتشترك زوجته في خلق المتاعب المنزلية له فتصبح حياته جحيماً في المنزل ، وجحيماً في المجتمع ، وجحيماً في أثينا كلها ... ولماذا يبالي الشعب الضال ، والزعماء الأوشاب من طعن يوريبيدز في شرفه ؟! أليس قد اشتهر أن زوجته الأولى قد خانته ؟ فلماذا يتورعون من إرسال التهمة نفسها عن زوجته الثانية ؛ ثم لماذا لا يدسون إليه من يحدثه بذلك ! أليست هي فضيحة والسلام ؟ أليس المقصود هو وخز هذه الروح العالية الكريمة المتأبية ؟ فماذا ينفع في وخزها إلا صغار هذه الشائنات ؟ ألا لا أفلح شعب لا يحرص زعماؤه على الأخلاق ، ولا أفلحت أمة يبلغ بها الهوان أن تعبد أمثال أولئك الزعماء !

كان يوريبيدز معتزلاً جميع الناس في كهفه المنفرد ، وهذه الفاقة الأخلاقية تفتك بمواطنيه ، وكانت أنباء الأزمة تبلغه فيبتسم ساخراً ، ثم يعبس عبوسة عميقة مريرة ظهرت آثارها في دراماته التي كان ينظمها في ذلك الحين (أورست ٤٠٨ ق . م) والتي حلل فيها أخلاق رجل ملتاث أو به مس لأنه قتل أمه ، وكيف أعدى هذا الرجل جميع من حوله بجنونه وخصوصاً أخته ألكترا وصديقه بيلاديز ، وكيف انتهى أعوانه إلى حرق القصر الملكي في آرجوس ليكون أول مشهد من نوعه يعرفه المسرح اليوناني ...

وبالرغم من روعة أورست وأنها من أقوى ما نظم الشاعر فقد سقطت لأنها من نظم عدو الشعب ، الرجل الغني البخيل الذي طالما بخل بأمواله على بلاده في أشد أوقات محنتها ... هذه تهمة جديدة حاكها الرعاع حول يوريبيدز ، لأنه كان يقتني مكتبة من أحفل مكتبات أثينا بالكتب بل من أحفل المكتبات الشخصية في العالم في ذلك العصر الذي كانت تبلغ فيه قيمة الكتاب الواحد مالاً قبل للفقير به

إذن فليهاجر يوريبيدز !

وليُلب دعوة أهل مجنزياله[1] ، ليحل عليهم ضيفاً حيناً من الزمان ، فإن بينه وبينهم صداقة قديمة وعيبة كانت تجمل لهم

(١) إحدى مدائن وادي ميانيز بالقرب من أفسوس

منه فى أثينا سفيراً يسهر على صوالحهم ويسر حوائجهم ... وليلبث عندهم أياماً ثم فَلْيُلَبِّ دعوة ملك مقدونيا العظيم الملك أرخيلوس، الذى كان يجمع حوله بلاطاً زاهياً زاهراً من أعظم رجال الفكر والفن فى العالم ، والذى كان يعتقد أن انتهاء أثينا على هذا النحو المزرى لا يعنى انتهاء المجد اليونانى ، بل يعنى هجرة هذا المجد ، وما دام أعظم رجال الفكر والفن اليونانيين قد هاجروا ، واختاروا بلاط مقدونيا مُهاجراً لهم ، فسترث مقدونيا هـذا المجد الأثينى الباهر العظيم ، وستنهض مقدونيا فى عالمى الفكر والحرب . وسيكون من ملوكها الملك فيليب وابنـه الإسكندر ومن أضيافها العظماء الفيلسوف أرسطو المعلم الأول !

كان أرخيلوس ملك مقدونيا وواضع اللبنة الأولى فى بناء نهضتها يطمع من قديم فى اجتذاب الشاعر يوريبيدز إلى بلاطه لشدة إعجابه به ، وكان يعرف ما يلقى يوريبيدز من قومه من الهون وسوء التقدير ، فدعاه مرة وأطمعه فى حياة هادئة هانئة لا يعكر عليه فيها صفاءه معكر ، لكن يوريبيدز شكر واعتذر ، فلما هاجر إلى مجنزيا وعرف الملك ذلك جدد دعوته وشدد ، فلبى يوريبيدز وأجاب ، وشد الرحال إلى البلاط المقدونى المتلألىء حيث وجد من رجال الفن زيكسيز أعظم مصورى عصره ، وحيث وجد الشاعر التراجيدى العظيم أجاثون ، والموسيقى الخالد تيموتيوس الذى كان يوريبيدز قد أنقذه من الانتحار كما مر بك ... ومما يؤثر فى قليل من الشك أنه لقى ثمة المؤرخ العظيم ثيوسيدز

أقام يوريبيدز فى هذا البلاط الزاهر فكافأه الحظ السعيد لأول مرة فى حياته مكافأة معنوية عالية لم يكافىء بها الزمان أحداً من الأدباء قط ... لقد وردت الأنباء من سيراكوزه حاضرة صقلية بأن أسرى الحملة اليونانية التى أرسلها ألسبيادس لغزو الجزيرة والذين بلغ عددهم سبعة آلاف أسير قد اشترط الصقليون لإطلاق سراحهم أن يلقوا مقطوعات من شعر يوريبيدز ، فمن استطاع منهم ترتيل شىء من هـذا الشعر ولو كان بيتاً واحداً فقد أطلق سراحه وصار حراً ، ومن لم يستطع فقد حل للصقليين استرقاقه ! أى مكافأة هذه يجود بها الزمان على شاعر ؟ ! وأية منزلة بلغها يوريبيدز فى الأوساط المثقفة المستنيرة فى الزمن الذى كان يعيش فيه ! ولكن ماذا كان أثر هذا الجيل فى أثينا والأثينيين ؟ ! لقد كان أثراً بالغاً من غير شك ، لقد شعروا بالخزى لأن أمما أخرى غير أثينا قد أخذت تستيقظ وتنبه ، ثم تسمو نحو المجد الأدبى حتى لقد عرفت من أدب يوريبيدز الأثينى ما لم يعرفه الأثينيون !

لم يسكن يوريبيدز إلى الدعة فى مقدونيا ، ولم يزهه إعجاب البلاط به فيستنيم إلى نشوة الخيلاء ، بل لعل الفضل الأكبر يرجع إلى هذه النشوة فى نظمه أعظم دراماته جميعاً (الباخوسية)[1] أو سكارى[2] باخوس

وتشبه الباخوسية من حيث الفكرة العميقة وجمال الموضوع بروميثيوث المصفد لأسخيلوس ، وقد نسى فيها يوريبيدز أدب الواقع قليلاً . ثم تغلغل فى صميم الأساطير القديمة وغرق فى الأدب التقليدى الذى كان هو زعيم الثورة عليه ... ولا ندرى لم لم يعير المؤرخون هذه الرجعة من يوريبيدز اهتماماً ، فلم يعللوها ولم يعرضوا لبحث أسبابها ... على أن مما لا ريب فيه أن أكبر أسباب هذا التحول هو البلاط المقدونى نفسه والبيئة المقدونية التى كان الشاعر يعيش فيها ... فأحلام رجال البلاط بالرغم من الأفراد الممتازين الذين جذبهم الملك إليه كانت أحلاماً بدائية مما يزدهيها أدب الملاحم والأساطير ولا يروقها الأدب التحليلى الذى ابتكره يوريبيدز ونظم فيه أروع آثاره ... أما البيئة فقد ترددت أصداؤها فى الباخوسية بهذه القطع الخالدة التى صور فيها الشاعر كثيراً من مناظر الطبيعة فى مقدونيا تصويراً حياً رائعاً لا يكاد يدانيه شىء فى جميع ما نظم

والعجيب أن تكون الباخوسية مع ذلك أروع درامات يوريبيدز بالرغم من أنها نكسة فى مذهبه ، وربما كان العنصر الإلهى الذى امتازت به هو الذى جعل لها هذه المرتبة بين دراماته .. وهو العنصر نفسه الذى ارتفع بروائع الأدب الأخرى وأكسبها الخلود مثل كوميدية دانتى وفردوس ملتون ورسالة الغفران لأبى العلاء وفاوست لجيته

---

(١) اختلف مؤرخو الكلاسيك فى اسم هذه الدرامة فأثبته موراى كما جاء فى اليونانية Bacchae وسماها بورا The Bacchants ومعناها كهنة باخوس ، أو المرحون ، أو السكارى ، أما ملمان ، أحد مترجمى يوريبيدز (مجموعة دانت حـ ١) فقد سماها The Bacchanals ومعناها عباد باخوس أو مرابيد باخوس

(٢) المقصود جمع المؤنث من سكرى بفتح السين

والباخوسية تفيض بروح لاذعة من السخرية ، وفيها مناظر تضحيكية مرة تقف بالإنسان ليتساءل : ترى هل بين هذه المناظر وما جاء مثلها في درامة إلجنيا في أوليس التي لم يكملها يوريبيدز ، صلة ؟! هل من الحق أن المناظر التضحيكية التي تفيض بها إلجنيا ليست من صنع يوريبيدز ؟ وهل الفن الذي تشهده في إلجنيا هذه هو فن غريب عن يوريبيدز لأنه لم يرد في دراماته أيضاً ؟ فلم إذن حشد يوريبيدز هذه المناظر التضحيكية في الباخوسية التي نظمها في مقدونيا كما نظم أختها إلجنيا هناك ؟ !

هذه أسئلة ترغم الإنسان على إعادة النظر في كل ما قيل عن فن يوريبيدز ! ! لقد رأينا كيف تأثر سوفوكليس الشيخ بيوريبيدز الفتى في أخريات حياته ، أفلا يكون يوريبيدز هو الآخر قد تأثر بعدوه أرستوفان ؟

* * *

يقدم إله الخمر باخوس ـ أوديونيزوس ـ متنكراً في رهط من نسائه السكارى المتوحشات إلى طيبة فيذوده ملكها بنثيوس عن القصر الملكي ، ويغلو هو ونساء الحاشية الملكية في انتهاره والازدراء به ، والتهكم عليه . ثم يأمر الملك بتكبيله بالقيود والأصفاد ثم بإلقائه في غيابة السجن ذليلاً محسوراً ... وهنا تتجلى القدرة الإلهية العجيبة ، فإن ديونيزوس الذي يصبر لهذا الهوان من أحد رافضي عبادته يرسل طائفاً من الجنون يجتاح سيدات القصر الملكي كله بما فيهن أجاف أم الملك فينطلقن مهرولات مولولات لينخرطن في صفوف ديونيزوس ، وليعكفن على عبادته . وينصح أشياخ الشعب الطيبي الملك أن يحد من غلوائه ضد الإله وأن يشرب قلبه محبته عسى أن يغفر له ، لكن الملك لا يزداد إلا شموساً ، فلا ييأس ناصحوه من النصح له حتى يقبل آخر الأمر أن يستخفى في زي امرأة ثم ينطلق إلى جبل كيثارون حيث يختبىء في بعض الأدغال القريبة ليشهد كيف يقبل نساؤه الملكيات على عبادة الإله وليقف بنفسه على مدى خشوعهن له ... وما يلبث الملك المستخفى أن ينفضح أمره فيضبطه نساؤه في مخبئه ، وتهجم عليه أمه وهي فيما هي فيه من طائف الجنون المقدس فتقتله ثم تمزقه إرباً ، وتنثر في الهواء أشلاءه ، وتنطلق برأسه نشوانة بخمر النصر وهي تحسب أنها قد قتلت أسداً ، وأن الرأس التي تحمله هو رأس ذلك الأسد !

فإذا انتهت إلى القصر ، وراحت تفتخر بفعلتها التي فعلت ، لقيها أبوها قدموس الذي آب هو أيضاً من جبل كيثارون حاملاً أشلاء حفيده ، فيقول لها وتقول له ، وقد فاءت قليلاً من طائف الجنون المقدس :

أجاف — ماذا ؟ ما الذي تنكرون ؟ فيم أسفكم أيها الأهل ؟[1]

قدموس — دوري بعينيك قبل كل شيء في الهواء الذي حولك !

أجاف — أدور بعيني ؟ ولماذا أفعل يا أبتاه ؟

قدموس — ألم يتبدل الأمر غير الأمر ؟ ألم يحدث أي تغير !

أجاف — لله ما أجمل وما أبهى ! أبداً ما رأيت مثل هذا أبداً ؟ !

قدموس — أما تزال خيلاؤك تهيمن على روحك !

أجاف — لست أدرى ماذا تقصد ! إني أفيق قليلاً ... إن عقلي المضطرب يصحو ...

قدموس — ألا تستطيعين أن تنتبهي وتجيبي على ما أسألك ؟

أجاف — لقد نسيتُ يا أبتاه كل ما قلت !

قدموس — أتذكرين إلى من زفقناك عروساً يا بُنَيَّة ؟

أجاف — إلى إختيون الذي يدعونه ابن التنين !

قدموس — وتذكرين ابنه الذي حملت في أحشائك ؟

أجاف — بنثيوس ، الوشيجة المقدسة التي تربط قلبينا !

قدموس — إذن رأس من هذا الذي تحملين في كلتا يديك ؟

أجاف — رأس أسد ! هكذا قال رفاق الصيد !

قدموس — أنظري إليه إذن فلن يكلفك النظر إليه عناء !

أجاف — ماذا أرى ؟ ما هذا الذي أحمل في يدي ؟

قدموس — أنظري إليه مرة ثانية .. إنك توشكين أن تعرفي !

أجاف — إني أرى الفزع الأكبر الذي ما رأيت مثله أبداً !

قدموس — هل هذا يشبه الأسد ؟

أجاف — كلا ! واتعساه ! إنه رأس ولدي بنثيوس !

قدموس — ومع ذاك فلم تذرف عليه عيناك عبرة واحدة قبل الآن !

أجاف — من قتله ؟ وكيف انتقل رأسه إلى يدي ؟!

قدموس — أيتها الحقيقة المرة ! لقد أتيت في غير الأوان !

أجاف — تكلم إن قلبي يخفق حتى ليكاد يثب من بين أضالعي !

(١) الترجمة عن ملخص مجموعة دانت ج ٢ ص ٣٤ وما بعدها .

قدموس — أنت يا ابنتى التى ذبحته . . . أنت وأخواتك !

أجاف — وأين : هنا ؟ أم فى أى مكان ؟!

قدموس — هناك ... حيث انقضت عليه كلاب أكتيون فرقته إرباً !

أجاف — ولم ذهب إلى كيثارون ولدى التعس ؟

قدموس — ذهب ليستهزئ بالإله ! وليسخر بالسكارى من عابداته !

أجاف — ولكن كيف وفيم ذهابنا نحن إلى هناك ؟

قدموس — لقد أصابك طائف من الجنون ، وقد جنت المدينة كلها معك !

أجاف — وا أسفاه ! لقد أهلكنا ديونيزوس ؟ آ لآن عرفت ذلك ! !

قدموس — هذا جزاء ما سخرتم به ... لقد نسيتم أنه إله !!

أجاف — وأين جثمان ابنى يا أبتاه ! !

قدموس — ها هو ذاك ... لقد لقيت العناء فى جمعه !

أجاف — وهل كل أشلائه سليمة .. و... هل أصابه ما كان قد أصابنى ؟

* * *

ثم تبكى الأم ولدها ويبكى قدموس حفيده ، ويشتد فى بكائه إياه لأنه سيظل بلا عقب ولا وارث للملك ولن تكون له ذرية من الرجال ... ثم يبدو الإله ديونيزوس فجأة فيصمت الجميع ، ويأخذ رب الخمر فى إصدار أحكامه وإبرام إرادته فينذر قدموس أنه سيمسخه فيكون تنيناً ، وستكون زوجته هولة شائهة الوجه . أما أجاف فستكون هولة أيضاً وستنفى من طيبة إلى أقصى الأرض . . . فإذا تضرعت إليه أن يترفق بها ذكرها بما كان من استهزائها به وتهكمها عليه . . . ثم تودع أباها ووطنها وداعاً مؤثراً وتنطلق من فورها إلى منفاها السحيق

أما الإله فإنه يسمو مصعداً فى الهواء ليلحق بدولة الأولمب ! !

فهل رأيت سخرية كهذه السخرية ؟ ! لقد حشد يوربيدز طائفة كبيرة من الطعن فى أهل البربر فى الباخوسية ، كما لجأ كعادته إلى الإشادة بذكر الميلانيين ... وقد أقام فى مقدونيا عاماً ونصف عام كان فيهما صفى الملك وحبيبه وصديقه . . . ثم مات يوربيدز متأثراً بجراحه التى يزعمون أن كلاب الملك وكلاب المقدونيين أحدثتها به حينما انطلقت عليه تعقره وتمضه وتمزق جسمه[1] ؟! ... فهل هى رواية صادقة ؟ ! وهل بين هذه الرواية وبين ما طعن به على البربر علاقة ما ؟ وهل المقدونيون من البربر ؟ أم أن استخلاص الملك له وإيثاره إياه أثار فى قلوب رجال الحاشية حسدهم له وموجدتهم عليه فأغروا كلابهم به ؟ !

لقد زعموا أن الملك وجد على يوربيدز وجداً شديداً ... وأنه رفض إرسال جثمانه إلى أثينا ليدفن هناك وقد ألح الأثينيون فى طلبه وتوسلوا إلى ملك مقدونيا بشتى الوسائل ، لكن الملك آثر أن يدفن صديقه بالقرب منه فى بيللا Pella (سنة ٤٠٦)

دريني خشبة

(١) يروى أن الملك خرج لصيد يوما وكان يوربيدز يحب العزلة على ما تعود فكان يخلو إلى نفسه فى غابة قريبة من التى خرج الملك للصيد فيها فانقضت الكلاب على يوربيدز فنهشته ... وهى رواية مفتعلة

رجعة إلى البحتري

للأستاذ عبد الرحمن شكري

أبدى لنا بعض الأدباء الأفاضل شكا في وصفنا للبحتري من حيث غلبة الصناعة على العاطفة في شعره واختلاط الحقيقة بالخيال في تلك الصنعة مما جعل بعض القراء يفترون بها ويحسبونها عاطفة. ولم نكن نريد انتقاص البحتري إذ عددناه ممثلاً في صناعته، يمثل العواطف المختلفة تمثيلاً متقناً؛ ولم نرجح صحة رواية كتاب الأغاني عن طريقة إنشاده وعن طلبه الاستحسان من الحاضرين وزجرهم إذا لم يظهروا الإعجاب، إلا لأن ذلك يفسر تناقض ما يمثل من العواطف والأحاسيس في شعره، كما سنوضح، ويتفق وطريقة الصناعة اللفظية التي ينتشي فيها الصانع بما يقول، وقد أغفلنا الإشارة إلى ما يروى من بخله إذ لا دخل لذلك بفنه، وكذلك أغفلنا ما روى عن قلة اكتراثه بثيابه ونظافته ... الخ.

والحقيقة أننا نعجب بصناعة البحتري إعجاباً كبيراً، لكن الإعجاب لا يمنع من الوصف والدراسة النفسية والسيكولوجية. وربما أخذ علينا بعض حضرات الأفاضل قولنا إن رثاءه للمتوكل كان صنعة وإننا نشك في قوله: (أدافع عنه باليدين ... الخ).

وقد رفضنا ما قرأنا في بعض الكتب من رواية لعلها رواية عدو أو رواية مازح أراد أن يداعب قوله: (أدافع عنه باليدين الخ). فقد قيل إنه اختبأ أثناء مقتل المتوكل، ويكفي أن نقول إن الفتح ابن خاقان هو الذي حاول أن يدافع عن المتوكل بيديه وبجسمه فقتله الفاتكون وهو من زعماء الترك مثلهم، فما كانوا يتعففون إذا عن قتل البحتري إذا صح أنه دافع عنه باليدين إن لم يكن ليفضي عنه فلكي يصلوا إلى المتوكل. ولم نشأ أن نذكر أنه مدح المنتصر بعد أن هجاه في رثاء المتوكل، ومدح زعماء الفاتكين وعرّض بهجاء المتوكل في مدحه للمنتصر كما سنوضح، ومدح المستعين الذي خلف المنتصر والذي كان مناقضاً للمعتز بن المتوكل الذي مدحه البحتري في رثائه للمتوكل ورجاه للخلافة، ومدح ابن المستعين ورجاه للملك أيضاً، كل ذلك والمعتز أسير حبيس، ثم بعد أن ثار الجند الترك على المستعين الخليفة واضطروه أن يخلع نفسه وفتكوا به هجاه البحتري بقوله:

وما كانت ثياب الملك تخشى جريرة بائل فيهن ... رى

وكان الغدر والخيانة والانتقاض أموراً شائعة في ذلك العهد.

وفي رثاء المتوكل يهجو المنتصر فيقول: (إذا الأخرق العجلان خيفت بوادره) ويقول:

ولا وأل (المشكوك فيه) ولا نجا

من السيف ناضي السيف غدراً وشاهره

وهذا يشمل المتهم بالتحريض غدراً وهو المنتصر ويشمل الذين شهروا السيف وقتلوا المتوكل وهم الذين مدحهم البحتري بعد ذلك.

ورب قائل يقول: إن الشاعر لا دخل له بالسياسة فهو يمدح الحكومة القائمة. ولكن البحتري لم يكتف بمدح كل حكومة كانت قائمة بل كان يهجو الحكومة التي قُضِيَ عليها. وقد رأينا هجاءه للمنتصر في رثائه للمتوكل فانظر كيف يمدحه ويقول:

سروا موجفين لمي الصفا ورى الجمار ومسح الحجر
حججنا البنية شكراً لما حبانا به الله في المنتصر

أي إنه حج كي يشكر الله على أن المنتصر تولى الخلافة وهو الذي يصفه في المرثية بالأخرق العجلان ويرجو ألا ينجو من أن يُقتَل بالسيف لأنه متهم بالتحريض على قتل أبيه، ولم يكتف بالحج شكراً بل وصف المنتصر بالحلم بعد وصفه بالخرق فقال:

من الحِلم عند انتقاض الحلو م والحزم عند انتقاض المرر
تطَوّل بالعدل لما قَضَى وأجمل في العفو لما قدر
ودام على خُلُقٍ واحـد عظيم الغنـاء جليل الخطر

ويقول:

ولكنْ مُصدَّق كاه الفنا م طابت أوائله والأُخَر
تلافى البرية من فتنة أظَلَّهُمُ ليلها المعتكر
رددت المظالم واسترجعت يداك الحقوق لمن قد قُهِر
وآل أبي طالب بعد ما أذيع بسربهم فابذعر
وصلتَ شوابك أرحامهم وقد أوشك الحبل أن ينبتر

وهذا المدح طويل جيد، ولا يقل صناعة عن مدحه للمتوكل بل إن فيه تعريضاً بحكومة المتوكل وهجاء له، إذ أن المتوكل هو الخليفة الذي غالى في اضطهاد آل أبي طالب. وقوله (رددت المظالم) هجاء صريح للحكومة السابقة، وقال:

بقيت إمام الهدى لهدى تُجدِّدُه من نهجه ما دثر

فإذا كان الهدى قد دثر وجدده المنتصر فمعنى ذلك أن المتوكل هو الذي كان الهدى في عهده مندثراً .

وفي مدح العباس بن المستعين يقول :

تَوَلَّتْهُ القلوب وبايعته بإخلاص النصيحة والوداد
هو الملك الذي جُمِعَتْ عليه على قدر محبات العباد

بعد أن كان لا يرضى بعد المتوكل خليفة إلا بالمعتز ابنه ، وقد قال في ذلك (وإني لأرجو أن تُرَدَّ أموركم الخ)

وفي مدح المستعين يقول :

يَتْلو رسول الله في هَدْيِهِ وابن النجوم الزهر من آله

وهذا ليس مدحاً شكلياً لكل حكومة قائمة بل هو يُمَثِّل عاطفة الولاء الشديد والاقتناع بالصلاح وإلا ما قال (تلو رسول الله)

وبعد أن جعل المستعين مثل رسول الله عاد بعد تعذيب الجنود له وقتله فقال: (وما كانت ثياب الملك تخشى الخ) وقال أيضاً فيمن شبهه قبل ذلك برسول الله :

ثقيل على جنب الثريد مراقبٌ لشخص الخوان يبتدي فيوائبه
إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يبل أضاء شهاب الملك أو كلَّ ثاقبه
تخلَّى إلى الأمر الذي ليس أهله فطوراً ينازيه وطوراً يشاغبه

وبعد قتل المعتز مدح أيضاً الحزب المناوئ له وخليفة ذلك الحزب وكان في مدح كل خليفة يذكر مدحاً يصح أن يحمل على محل التعريض بالخليفة السابق الذي كان قد رفعه البحتري إلى السماء كما فعل مع المستعين(1)

وهذه الخطة لم تكن خطته نحو الخلفاء والوزراء فحسب ، بل إنه أيضاً صنع النسيب والتشبيب في علوة الحلبية حتى ظن بعض النقاد أنه من أصدق النسيب وهو ليس كذلك ، فهو في القصيدة الواحدة يصفها بالصيانة والتبذل فقال :

بيضاء رود الشباب قد غُمِسَتْ في خجل دائم يعصفرها
لا تبعث العُود تستعين به ولا تبيت الأوتار تخفرها

وبعد هذا الوصف بالتصون يقول في القصيدة نفسها :

وليلة الشك وهو ثالثنا كانت هنات والله (يغفرها)

(1) تولى المعتز ثم قتله الجند أيضاً ثم ولوا المهتدي ثم تنكروا له أيضاً وولوا المعتمد في زمن قصير فتنكروا بالمتوكل والمستعين والمعتز والمهتدي ويقال إن المتصرمات سموها .

وعلى فرض صحة حدوث ما يستوجب (الغفران) أيليق ذكر ذلك في النسب الذي يصفها فيه بالتصون ؟ وأدهى من ذلك أنه عاد وهجاها أخبث هجاء بقول لا يتفق وما وصفها به من التصون وهو قول لا يمكن الاستشهاد به (صفحة ١٠٩ من طبعة الجوائب) وفيه أنكر عليها التصون والعفة والجمال والأنوثة. وقصته مع نسيم غلامه معروفة إذ كان يبيعه ويقبض ثمنه ثم يعود فيهدد الذي اشتراه حتى يرده إليه هدية كي يكسب المال . ونسيبه فيه نسيب ظاهره الرقة وباطنه فساد الذوق الذي يكون عندما تنعدم العاطفة وتُدَّعى تمثيلاً قال فيه :

نقل لنسيم الورد عنِّي فإنني أعاديك إجلالاً لوجه (نسيم)

ولو كانت عنده عاطفة لقال :

نقل لنسيم الورد أقبلْ فإنني أحبك مِنْ حبي لوجه نسيم

أو مِنْ حبي لطيب نسيم ، أو ما شابه ذلك إذ لا يُعقل أنه يكره الرائحة الزكية لأن نسيم الورد اسمه مثل اسم نسيم . اللهم إلا أن يتغزل في الرائحة الكريهة إجلالاً لوجه نسيم كما يقول . وقال أيضاً فيه :

لم يَجِدْ مثل ما وجدتُ وما أد صفْتُ إن أنت لم تجد مثل وجدي

كيف يكون من الذوق والصدق أن يطلب من ذلك المملوك الصغير أن يعشقه ويحس بوجد مثل وجده به والبحتري شيخ كبير والمملوك غلام صغير ؟ أظن أن هذه الشواهد كلها تركن وصفنا للبحتري وكنا لا نريد الإطالة – وهو وصف على أي حال لا يطعن في علو صنعته .

فقد وصفنا في مقالة (صيانة العقيدة من احتيال النفوس) أن النفس البشرية تستطيع أن تخفي عن نفسها قبح رذائلها وأن تزكيها بأن تلبسها لباس الفضيلة أو الدين

ومن نظراته الصادقة أيضاً قوله :

وما القرب في بعض المواطن للذي يرى الحزم إلا أن يشط ويبعدا

فقد يكون في البعد من الإبقاء على المودة ما لا يكون في القرب ، وهذه النظرات الصادقة ليست قليلة في شعره بالرغم من فساد نظرته أحياناً . وأختم قولي عن البحتري بأن أعيد بيتاً له أعجبني وهو قوله :

ما أشمت الإنسان لولا همة في نُبْلِهِ أو قوة في لبه

إذ يعجبني منه اختصاصه النبل بالهمة واللب بالقوة وجعل قوة الإنسان في همة نبله كما جعلها في قوة لبه

والغريب في أمر البحتري أنه قد يخطئ في المعنى إذا كان نسيباً ويصيب فيه إذا كان مدحاً كأن الرُّغبَ في قلبه أشد من الحب . أنظر كيف فسد ذوقه في قوله في النسيب وقوله في مملوكه نسيم :

فقل (لنسيم الوَرْدِ) عنى فإننى … أُعاديك إجلالاً لوجه نسيم

ثم إلى قوله في المدح :

إنى لأضمر (للربيع) عبة … إذ كنتُ أعْتَدُّ الربيع أخاكا

وإصابته في البيت الثاني كانت خليقة أن تجعله يقول في البيت الأول إنه يحب نسيم الورد لمشابهة الورد للنسيم ، كما أحب الربيع لمشابهته الممدوح ، ولكن له سقطات في وصف الأحاسيس وما تقتضيه من القول شأن القائل بالصنعة لا بالعاطفة وإن كان أميراً لها . وأدهى مما ذكرنا أن عقلياً من بنى حميد ماتت ابنته فحزن لموتها فنظم البحتري قصيدة يعزيه فيها فقال إن العاقل ينبغى ألا يحزن لموت أنثى أيّة كانت لأنها قد تجلب العار :

واستذلّ الشيطانُ آدم في الجـ … ـنة لمّا أغرى به حوّاء

والفتى مَنْ يرى القبور لِمَا طا … ف به من بناته الأكفاء

ثم إنه يُعرِّض بمعنى العار ولا يصرح ولكنه تعريض كتصريح ، ففي القصيدة يقول : إن أعاظم العرب ما كانوا يئدون بناتهن فقراً (بل حمية وإباء) وذكر احتمال العار كي يعزي به أبا خزيناً على فقد ابنته ، والمعزّى من أعاظم الناس والفتاة التي ماتت من كريمات النساء . فساد في ذوق الصانع حتى مع احتمال حدوث العار لو عاشت إذ يكون من جفاءات الحياة التي لا تتفق وكرم محتد التي يرثيها . هذا هو خطأ ذكاء الصنعة ، أما إذا أسلم نفسه لذكاء الطبع والبصيرة النفسية (السيكولوجية) أتى بنظرات صادقة في النفوس وخبيئة مثل قوله :

إذا أحرجت ذا كرم تخطّى … إليك ببعض أخلاق اللئيم

واختياره كلمة اللئيم لتكريم المحرَج ليس فيه مبالغة كما يعرف المفكر في أخلاق الناس ، كما أنه ليس من المبالغة قوله في البخل أو اللؤم أو ما شابه ذلك :

وتعاحكوا في البخل حتى خلته … ديناً يدان به الإله ويُعبدُ

عبد الرحمن شكري



في الأدب العربي الحديث

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

عنى الباحثون في الآداب العربية من الإفرنج في العصور الأخيرة باتجاهات الأدب العربي الحديث من سبل التحقيق العلمي ووسائل الدرس الفنية ؛ وسرعان ما ظهرت عناية هؤلاء الباحثين في الدراسات والمباحث التي قاموا بنشرها في السنين الأخيرة في مختلف اللغات الأوربية عن الأدب العربي الحديث . وخير هذه الدراسات الفصول القيمة التي يكتبها المستشرق الألماني الكبير « كارل بروكلمان » في « ملحق تاريخ الآداب العربية » وقد صدر منها أخيراً جزآن عن الشعر المصري في العصر الحديث . غير أن ساحة الآداب العربية الحديثة (رغم هذه الدراسات) لا تزال غير مطروقة في جميع نواحيها بالبحث ، والنواحي التي طرقت منها لم تتعد دائرة رسم الاتجاهات العامة والخطوط الأساسية . لهذا كانت الحاجة ماسة لدراسات مستفيضة عن الأدب العربي الحديث من طرق التحليل العلمي وسبل التحقيق الذي درج عليه الباحثون في تاريخ الآداب ووسائل الدرس الفنية

وتحت تأثير هذه الحاجة ومعرفتنا للغة العربية التي حملنا عليها لظروف عائلية بين تركيا ومصر اندفعنا إلى دراسة الأدب العربي الحديث في اتجاهاته وأعلامه في دراسات مفصلة ، ظهرت آثارها فيما نشرناه منذ عام ١٩٣٦ في اللغات الألمانية والروسية والتركية والإنجليزية والعربية . وكان أن رغب إليّ بعض الزملاء من أدباء العربية أن أنشر دراساتي في اللغة العربية لفائدة الناطقين بها من جهة، ولإمكان استفادة كل الباحثين من المستعربين الإفرنج في آداب العرب من جهة أخرى ، مما لا يتحقق فائدته على نفس الوجه في الكتابة في لغة من اللغات الإفرنجية التي يجرى قلمنا بها

وتحت تأثير رغبة هؤلاء الزملاء وتشويقهم ، لخصت جانباً من دراستي التحليلية التي كتبتها في الألمانية عن « شاعر العراق الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي » ونشرتها بالعربية كما ترجمت بحثي عن الأستاذ الدكتور « طه حسين » ومضيت أضع دراسة عن الأديب الكبير « توفيق الحكيم » صدرت في الشهر الفائت ثم انثنيت أدرس الأديب الشاعر « خليل مطران » وأضع دراسة مفصلة عنه ، تكفلت بنشرها متتابعة مجلة « المقتطف » شيخة المجلات العربية . وحدث أن عرضت في الفصل الثالث من دراستي للطريقة التي استحدثها خليل مطران في نظم الشعر، وتناولت بالكلام العام الأثر الذي تركه مطران بمحاولته التجديدية في جيل من الأدباء الذين نشأوا في عصره وقلت في معرض الكلام ما نصه :

« على أن الأثر — أعني الأثر الذي استحدثه مطران — توضح واستبان في العقد الثاني من قرننا هذا ؛ إذ ظهر في مصر شاعران كبيران هما : أبو شادي وشكري . ثم ظهر في أواخر الحرب خليل شيبوب الذي ينفرد من بين كل المتأثرين باتجاهات مطران بأنه لا يزال إلى يومنا هذا أميناً للعناصر التي يقوم عليها مذهب الخليل في نظم الشعر . وهو في ذلك عكس زميليه أبي شادي وشكري اللذين استقلا بمذهب لهم في قول الشعر مع الزمن ، وإن كان مذهبهما يتقوّم على أساس من مذهب الخليل، فعبد الرحمن شكري كان ذهابه لانجلترة سبباً لوقوعه تحت تأثير المذهب الطبيعي الإنجليزي ، وكان أن تغلبت عليه نزعة من التشاؤم نتيجة لعوامل تتصل بنفسه . فاستقل بمذهب في الشعر يقوم على أساس التأمل والتفكير الخصب الذي يماشي الشعور العميق الذي يشوبه مسحة من الكآبة ... »(١)

غير أن هذه السطور رغم ما تنطق من عظيم التقدير لأدب الشاعر الجليل « عبد الرحمن شكري » فإنها لم ترضه . فكتب في المقتطف وفي الرسالة ، وعاود الكتابة فيها يناقش مطالعاتنا مقرراً براءة شعره من أثر مطران مبدياً التذمر من نسبتنا نزعة التشاؤم له ، محللاً رأينا أنه وقع تحت تأثير المذهب الطبيعي الانجليزي أكثر ما يحتمل !

وكان بودي أن أصحح الموقف عقب الكلمات الأولى التي كتبها الأديب الفاضل شكري ، ولكني لست أملك من وقتي وصحتي ما يملكه هو حتى أبادر إلى التصحيح في حينه ، فليعذرني لهذا وهو خير من يتفهم الأعذار

(١) المقتطف م ٩٤ ج ٣ ص ٢٠٦ — ٢٠٧

وقبل كل شيء يستحسن أن أحدد نقطة الخلاف الأساسية . فأنا أقول إن خليل مطران استحدث في الأدب العربي أسلوباً جديداً في النظم يقوم على أساس تولي الشعر باعتبار وحدة الشعور واطراد الخواطر وتسلسل الشاعر واتساق المعنى . وأظن أن الشاعر الفاضل عبد الرحمن شكري لا يختلف معي في هذه القضية . ثم إني أقول إن مطران أثر فيمن جاءوا بعده من الشعراء ، وأقرر أن هذا التأثير بدا بصورة قوية عقب ظهور ديوانه عام ١٩٠٨ ، وهذا التأثير يعترف به على شعره الدكتور أبو شادي والدكتور ابراهيم ناجي كما يعترف بذلك الشاعر الفاضل خليل شيبوب . وهناك روايات مستفيضة ترددت نحو ثلاثين سنة في المجلات والصحف الأدبية في مصر وسوريا ولبنان والمهجر ناطقة بأثر مطران التوجيهي فيمن أتوا بعده من الشعراء المجددين فضلاً عن أثره في بعض معاصريه من شعراء العربية الأعلام ، وهذه الروايات تحمل في تضاعيفها فكرة تأثر شكري بمطران ، وهي حين تتكلم عن هذا الأثر لا تتكلم عن تأثر شكري بأخيلة مطران وعبارته ، وإنما تتحدث عن تأثره بطريقة مطران في النظم : وحدة في الشعور واطراد في الخواطر وتسلسل في المشاعر واتساق في المعاني ترسل بضبط وتمشي بإحكام في مختلف أجزاء القصيدة أو المنظومة

وإذاً يكون كل تفسير من شاعرنا الجليل يخرج الكلام عن حقيقته وإنكار للواقع لا نرضاه من أديب مثله .

هذا وأنا بصفتي مستعرباً — وبلاحظ هذا أديبنا الفضال جيداً — مهتم بدراسة الأدب العربي في اتجاهاته وتطوراته ، ومناحيه ، وفي أعلامه ، أتخذ طريقة من البحث منهجية ، أمزج فيه التحقيق بالافتراض ، والاستقراء بالتخيل ، فأتناول بعض الأشياء تناولاً حدسياً Intuitive — أو قل أولياً a priori لأن التحقيق في كل نوع غير مستطاع . لهذا أقف في بعض النقط من دراساتي عند مجمل الشيء دون أن أنزل إلى تفاصيله تاركاً التفصيل والتحقيق لمواقف أخرى . ومن المعروف في الأساليب المنهجية أن طريقة الحدس في الدرس ترجع إلى مراجعة سريعة للمبادىء والانتقال دفعة واحدة منها إلى النتائج دون وقوف طويل ولا تحقيق مستفيض في الحلقات الوسطى . وأنا لم أخرج في بحثي عن تأثر شكري بمطران عن حكم هذا النهج ؛ فكل المراجع تقرر أن شكري من المجددين كأقرانه تأثر بمطران وليس في استطاعتي مخالفتها إلا بتحقيق ، لأن البحث عن مطران والمحدثين غير مستطاع . لهذا أخذت كلام المراجع قضية أولية في مثل هذا الموضوع الفرعي الذي لا يمكنني أن أستقصيه إلا وأنزل لدقائقه وتفاصيله ، والبحث لا يستلزم مني كل هذا ، ولكن للتثبت من صحة هذه القضية الأولية اكتفيت أن أنتقل إلى نتائجها الأخيرة ، أتحقق من وحدة الطريقة عند مطران وشكري ؛ ومراجعة سريعة لديوان مطران ودواوين شكري لا تدع مجالاً للشك في هذه الحقيقة . والفروق الممكن رؤيتها ترجع إلى الاختلاف في الشخصية والأصل الثابت في طبيعة كل منهما كفردين تقوم كل منهما بشخصية أصيلة . وعند هذا الحد وقفت على أن أعود إلى الموضوع أحققه في تفاصيله ووقائعه فيما كنت أريد أن أكتبه عن شكري من دراسة .

على هذا الوجه تتضح المقدمات الأولية في بحثنا التي جعلتنا نقدر تأثر شكري بمطران . ويستبين من ذلك أنه ليس هنالك في فكرنا ما يتوهمه الشاعر الفاضل شكري من تقليل من شأنه ، وأنه لم يدر بخلدنا أن ننتقص من أمره في كلامنا ؛ وأن بحثنا مستقيم من مناهج البحث القويمة ، لا ضعف في التخريج ولا تهافت في الرأي ولا قصور في النظر إلى جوانب الموضوع كما راح يغمزنا ويغمز دراستنا الأديب الفاضل

* * *

بقيت مسألة تتفرع من فكرة تأثير مطران في جيل من الأدباء الذين عاصروه أو جاءوا بعده . وهذه المسألة تقوم على أساس تفهم وجه التأثر ؛ فقد يكون التأثر بشعر مطران ، وقد يكون بالأثر الذي تركه مطران في المحيط الأدبي . أما عن الوجه الأول فذلك يكون إما باحتذاء مطران في طريقته كما هو الحال عند شيبوب ، أو التأثر بالطلاقة الفنية عند مطران كما هو الحال عند أبي شادي ، أو التأثر بجو شعر مطران وأخيلته كما هو الحال مع إبراهيم ناجي . وهذه الحالات كلها وإن تباينت فيما بينها ، إلا أنه يجمعها شيء واحد هو التأثر المباشر بشعر مطران . أما عن الوجه الثاني فبيان ذلك في مجاراة النسق الجديد الذي أتى به مطران ؛ نزولاً على أحكام الجو الأدبي والبيئة الفنية التي تطعمت بمحاولات الخليل

التجديدية . ومثل هذا واضح فى محاولات أحمد شوقى فى إقامة طور جديد من الشعر فى الفترة التى جاءت عقب الحرب العظمى . ولا يعترض علينا بأن الحاجة كانت ماسة لهذه الضروب من الشعر نزولاً على أوضاع الحياة الجديدة التى دفع إليها المجتمع الشرقى . لأن روح التردد والإحجام عن استحداث مثل هذا الحدث كان يسود الجميع . فضلاً عن أن الشخصية التى تتقوّم بأوضاع الحياة الجديدة على وجهها الجديد وتعانى حاجة العصر لم تكن وجدت ، لأن الجميع كانوا تحت تأثير سريان الشعر القديم . ولا شك أن العصر من حيث أدرك نفسه فى شخص مطران الرائد الأول لحركة التجديد فى ميدان الشعر فى الأدب العربى ، حمّل الجو الأدبى لوناً وجعله يتطلع بصورة جديدة : تلك التى تطالعنا من حركة التجديد اليوم

ولا شك عندى فى أن حذق الخليل وتحايله على جمود عصره هو الذى مكن أقدام الشعر الجديد . عناية مطران بأن يكسو شعره ديباجة عربية خالصة ، واتخاذه الأغراض الاجتماعية التى تدور عليها الحياة فى عصره ، هى التى جعلت الناس تتشرب الجديد ولا ترى غضاضة فى تذوق أخيلته ومعانيه المستحدثة . والحق يجب أن يقال إنه لولا مطران لما كان لنا أن نرى اليوم تلك المحاولات التى قام بها الشعراء المجددون من شعراء الثقافة الحديثة فى مصر

وعلى هذا لنا أن نفهم مناحى تأثير مطران فى جيل من الأدباء الذين عاصروه والذين أتوا من بعده ولحقوه . وعلينا لكى ننصف التاريخ الأدبى أن نقدر كل ذلك ، وفى ضوئه نصدر أحكامنا ونُدلى بمطالعاتنا عن الأدب العربى الحديث

وقد حاول الشاعر الفاضل عبد الرحمن شكرى فى مقاله بالمقتطف أن يخرج بالموضوع عن دائرته الحقيقية إلى بحث فى العوامل التى أثرت فى نفسه فقومت شخصيته على النمط الذى يظهر من مطالعة شعره . ولست براغب فى نقاشه فى المسائل التى ذكرها، لأنها من أمس الأشياء بذاته وشخصه ، والإخلاص الأدبى يضطرنا إلى تصديقه فيها . ولكن كل الذى أرغب أن أقدره هنا أنه كشف بما كتب عن العوامل التى أثرت فى نفسه فجعلته يميل لقرض الشعر ؛ إلا أنها لا تبين الأدوار التى مر بها حتى تومته على النمط الجديد الذى يظهر من مطالعة شعره فى الدواوين الأخيرة، وفى بعض الأجزاء من روايته الأولى ، ولا شك أن شاعرنا لا يعتقد أن شخصيته الأدبية وضحت واستقامت من الأدب القديم بدون أن يكون للجديد أثر عليه . فصحيح أن الأستاذ شكرى تأثر بشعراء الصنعة العباسية وبشعر العرب القديم وبشعر البارودى فى الطور الأول من حياته الأدبية ، وذلك على الوجه الذى أشار إليه فى مقاله الأخير بالمقتطف؛ على أن ما استقامت به شخصيته من نمط جديد لا أظنه ينكره ؛ وهذا النمط هو الذى يعنينى ويعنى كل باحث فى تصرف شاعريته

ونحن نعتقد أن فى إمكانه أن يخرج المسألة تخريجاً يوافق دعواه التى يدّعيها ، ويقول إن ما ظهر به من نمط جديد إنما يرجع لارتياضه فى دواوين الشعر الأوربى ، ولكن لكى نصحح هذه القضية يجب على شاعرنا أن يثبت عدم تأثره بمطران فى الوجهين المباشر وغير المباشر . وهو يستطيع أن يزعم أنه لم يقرأ مطران وأنه لم يتأثره ؛ ولكن لا أظن أن فى إمكانه أن ينفى عن نفسه تأثره بالجو الذى استحدثه الخليل فى الحياة الأدبية

فى إمكان شاعرنا الفاضل أن ينفى بصيغة البات ، ولكنه لا يقنع بذلك أحداً من الذين تقومت لهم شخصية فى دراسات التاريخ الأدبى

وأظن أنى بهذا المقال أوضحت الموقف وأجليت الفكرة دون نكران للواقع أو انتقاص لمكانة شاعرنا الجليل عبد الرحمن شكرى فى عالم الأدب الحديث . وليطمئن الأستاذ فإنى فى طليعة المعجبين بشعره والعناصر الأدبية والفنية الطيبة التى يتميز بها شعره ، وعبارتى فى المقتطف عنه ناطقة بهذا الإعجاب : « شعر يقوم على أساس التأمل العميق والتفكير الخصب الذى يماشى الشعور العميق » . أما حديث التفاؤل والتشاؤم فله مقال آخر

(أبو قير) اسماعيل أحمد أدهم

المدرســـة الابتدائية

وتعليم اللغة الأجنبية

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

ورد في تقرير اللجنة التي شكلت بوزارة المعارف برياسة سعادة الوكيل المساعد لدراسة هذا الموضوع ما يأتي :

« تكاد تجمع نظم التعليم بالبلاد الأجنبية على أن ليس من المصلحة أن يبدأ الطفل تعلم لغة أجنبية قبل أن يلم إلماماً كافياً بلغته القومية وقبل أن تتسع مداركه لاستيعاب تلك اللغة الأجنبية

ويرجع هذا الإجماع إلى أن المسئولين عن تربية الطفل يرون أن في التبكير بتعليمه لغة أجنبية إرهاقاً له وإضعافاً للغته الأصلية، وأن تعليمه اللغتين في وقت واحد يؤدي إلى عدم تمكنه من إحداهما. وهذا إن وافق دولة ما فالأحرى به أن يكون أكثر موافقة لمصر التي يختلف فيها تعلم اللغة الأصلية عن غيرها من الدول، وذلك لأن لغة الكتابة هنا غير لغة الكلام مما يجعل العبء أثقل على كاهل التلميذ المصري »

وورد في تقرير المستر مان الخبير الفني الذي رفعه إلى وزارة المعارف منذ أكثر من عشر سنوات بصفحة ٩٤ ما يأتي :

« إن العبء الثقيل الذي تضعه هذه الحالة اللغوية الغريبة على كاهل الصبي المصري تتجلى لنا شدة وطأته بوجه خاص إذا راعينا ما بين نشوء الفكر في الذهن والتعبير عنه بالكلام من الاتصال الوثيق ، لأن من الصعب كما لا يخفى إدراك ما إذا كان في الإمكان أن يوجد أحد هذين الأمرين مستقلاً عن الآخر . وعلى أية حال فإن من المؤكد أن توقيف تيار الفكر في الصبي بتكليفه التعبير عنه بوساطة لغة أجنبية لا بد من أن يعوق نمو ملكة التفكير فيه . وهناك ما يجعلني أعتقد أن الوسط الذي تنتشر فيه لغتان من شأنه أن يؤخر نمو القوى المدركة في الأفراد الذين يعيشون فيها حتى ولو كانت هاتان اللغتان حيتين وشائعتي الاستعمال ، وعلى ذلك فإن بيئة الصبي المصري الدراسية التي تتغالب فيها لغتان إحداهما ميتة لا بد من أن يكون أكثر تسويفاً لنمو مداركه من الوسط آنف الذكر . فبدلاً من أن تكون المراحل الأولى من تعليمه أطوار نمو طبيعية يكاد لا يشعر بها فإنه يراها شاقة إذ أنه لا يقضيها أحياناً إلا في الكدح في تحصيل قواعد كلامية »

وقال هنري سويت في كتابه : « دراسة اللغات العملية » ما يأتي :

« بما أن اللغات ليست عقلية إلا في بعض عناصرها فإن تحصيلها لا بد أن يكون إلى حد كبير بطريقة آلية ، والدراسة الآلية لا تحتاج إلى عقل مبتكر ولا إلى ملكة مجحمة ناقدة »

ومنذ سنوات طويلة نبهنا الخبيران الفنيان : مان وكلاباريد إلى النقص المخيف في تكوين شبابنا وتنمية عقولهم في نواح متعددة أهمها في ملكات الابتكار والنقد والتفكير . وجاء في هذا العام مكتب تخديم الشبان بوزارة المالية فأثبت لنا ذلك النقص عن طريق الشركات التجارية والصناعية التي أقدمت على استخدام بعضهم فظهر لها عجزهم في كثير من الأمور . ولست أشك لحظة في أن سبباً هاماً من أسباب هذا النقص يرجع إلى دراسة اللغات الآلية التي نركز فيها همنا وهم الطفل منذ أول اتصاله بالمدرسة من غير أن نفسح مجالاً ما لظهور تلك الملكات الضرورية وإنمائها ! ويكفي أن ندلل على ذلك بأن الطفل بمجرد التحاقه بالمدرسة الابتدائية يصطدم بتخصيص ٢١ درساً من ٣٨ درساً أسبوعيًّا لدراسة اللغتين العربية والإنجليزية أي بمعدل ٤٦ في المائة تقريباً من وقته الدراسي ، وهذا الوقت موزع بمعدل ٩ دروس للغة الإنجليزية و ١٢ للغة العربية ؛ أي بنسبة ٢٤ في المائة للغة الإنجليزية و ٣٢ في المائة للغة العربية . فأين تجد المدرسة وقتاً (بعد صرف هذا الوقت كله) للبحث عن ملكات التلميذ الضرورية وتشجيعها وإنمائها والعمل على تكوينه التكوين الصحيح الملائم؟

فإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية إذن يرفع عن كاهل الطفل المصري المبتدئ في التعليم عبئاً ثقيلاً ينوء به ، شهد بوجوده العلماء والخبراء وأحس بثقله الكثيرون من رجال التربية والتعليم في مصر ، وأقرت بقيامه اللجنة الرسمية التي درست هذا الموضوع . وإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية يمكن المدرسة من إصلاح حالها في مواطن متعددة لأنه يعطيها فرصة

واسعة للعمل مع زيادة تثقيف أبنائها في شتى النواحي القومية والخلقية، كما أنه يساعدها على اتباع أصول التربية وقواعدها المهملة إلى اليوم بين جدرانها . إذ المدرسة في جميع بلاد العالم لا تقف عند واجب التعليم فقط كما هو الحال عندنا ، ولكنها تتعدى ذلك إلى أمور تتصل بحياة الطفل وعستقبله اتصالاً وثيقاً وتؤثر في نفسيته وتكوينه تأثيراً عميقاً يجعل المدرسة الحديثة تنكر نفسها إذا هي أهملتها أو أنقصت من أهميتها . فلقد أصبحت دراسة ميول كل تلميذ على حدة وتوجيهه وتشجيع مختلف الملكات فيه بمجرد ظهورها والعمل الدائم على إنمائها — أموراً لا يمكن للمدرسة الحديثة أن تحيا بغيرها ! والدرسة المصرية الحالية مع الأسف العميق لا تعنى بشيء منها ! ولا يمكن أن تعنى بشيء منها مادام ٥٦ في المائة من وقتها ضائعاً في الدراسة النظرية استعداداً للامتحانات !

هذا ولا يذهبن الظن ببعضنا إلى أن إلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية يضعف حالة هذه اللغة في المدارس الثانوية أو يقلل من أهميتها ، فالأدلة المحسوسة كثيرة على أن هذا العمل يرفع من قيمة هذه اللغة ويقوى مركزها في التعليم الثانوى والمتوسط التجارى بصفة خاصة ويجعل الاهتمام بها أكبر وأعظم لأن التلميذ الذى انتهى من التعليم الابتدائى حيث تكون تكويناً ملائماً يأتى إلى المرحلة التالية مليئاً بالحيوية والنشاط متجهاً اتجاهاً جديداً تدفعه جدته إلى الحماس في الأخذ به . ثم إن القوة في دراسة لغة من اللغات لا تتوقف فقط على طول المدة التى يقضيها الطالب في دراستها لأن هذه المدة عامل ثانوى بجانب الطريقة نفسها التى تتبع في تدريسها وبجانب حماس المعلم وقدرته . وهى أمور إذا أحسنت واستكملت أسبابها دفعت بالطالب دفعاً إلى الاطلاع والقراءة وهى الغاية القصوى التى يجب أن يسعى إليها المعلم والمدرسة معاً . ولا نستدل على ذلك بأكثر مما نراه رأى العين في مدارسنا اليوم إذ نرى مستوى طلاب البكالوريا في اللغة الفرنسية لا يقل كثيراً عن مستواهم في اللغة الإنجليزية بل قد يزيد أحياناً مع أنهم أنفقوا طوال أربع سنوات بالمدارس الابتدائية في دراسة اللغة الإنجليزية من غير أن يدرسوا كلة واحدة في اللغة الفرنسية ، ثم أخذوا يدرسون اللغة الإنجليزية طوال مدة التعليم الثانوى

بمعدل تسعة أو ثمانية دروس في الأسبوع في نفس الوقت الذى لا يدرسون اللغة الفرنسية إلا بمعدل أربعة دروس في الأسبوع فقط في مرحلة التعليم الثانوى وحدها، فماذا يقول أنصار إعطاء مدد طويلة لتعليم اللغات بعد هذا الدليل المادى القوى ؟ فإذا رجعنا ببصرنا بعد ذلك إلى الماضى وجدنا عجباً ، وجدنا أن معظم وزرائنا ومستشارينا وقضاتنا الذين تعلموا على النظام القديم ولم يدرسوا اللغة الفرنسية إلا في السنتين الأخيرتين من التعليم الثانوى استطاعوا بعدها أن يدرسوا مواد العلوم المختلفة في مدرسة الحقوق باللغة الفرنسية وأن ينبغ الكثيرون منهم فيها

فهل يصح بعد كل هذا أن نخشى على اللغة الإنجليزية إذا نحن أخرنا البدء بدراستها إلى ما بعد مرحلة التعليم الابتدائى ؟ لا شك في أنه لا خوف عليها مطلقاً إذا أنسيناها من التعليم الابتدائى كما إنه لا خوف على اللغة الفرنسية إذا أجلنا البدء بتعلمها إلى ما بعد سنتين من مرحلة التعليم الثانوى

وفوق هذا وذاك فإنا نعلم أن الطريقة المتبعة في تعليم اللغة الإنجليزية بالمدرسة الابتدائية الآن هى نفس الطريقة المتبعة في تعليمها بالمدرسة الثانوية وهى طريقة West ولم يقف الأمر عند ذلك بل نجد أن الكتب التى يدرسها التلميذ في المدرسة الابتدائية يعيد دراستها هى نفسها في المراحل الأولى من المدرسة الثانوية، وفى هذا اعتراف رسمى عملى بعدم أهمية دراسة اللغة الإنجليزية بالمرحلة الأولى وبأن الطالب إنما يبدأ بتعلمها فعلاً بمرحلة التعليم الثانوى

أما ما نستفيده عملياً من تعليم اللغة الأجنبية في المدرسة الابتدائية فيتبين بصفحة ٢٣٨ ، من مؤلفى « التعليم والمتعطلون في مصر » إذ قد ورد فيه « أما النتيجة العملية التى يستفيدها الطلاب ، وتستفيدها البلاد من تعليم اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية فتتبين من الإحصائية التى تتنقل بناجحى الشهادة الابتدائية إلى البكالوريا حيث ينتظر أن يفيدوا أو يستفيدوا من تعلم اللغة الأجنبية . وهنا أوردنا إحصائية يتبين منها النسبة المئوية لناجحى البكالوريا إلى ناجحى الابتدائية في عدة سنين تقع بين ١٧ و ٢٦ في المائة . ثم قلنا : « فإذا علمنا أن نحو ثلثى الناجحين في الابتدائية يقفون عند هذا الحد من التعليم وأن ناجحى البكالوريا

على هامش الفلسفة

طريقة الأخلاق أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

رأينا عدم غناء الطريقة الاستنتاجية في الوصول إلى مُثُل عليا مرضية من الجميع ؛ وهذا ما دفع فريقاً من الفلاسفة للتوجه وجهة أخرى في تعرف الخير والشر والحسن والقبيح ؛ هذه الوجهة هي الحاسة الأخلاقية أو اللهمة ، حاسة المعرفة المباشرة التي لا تحتاج لنظر واستدلال ، بل يكفي أن نلجأ إليها لتهدينا سواء السبيل

هذه رسالة كل فلاسفة أخلاق العاطفة تقريباً كرجال المدرسة الإنجليزية والأيكوسية في القرن الثامن عشر أمثال : شافتسبري (١) ، وهتشسون (٢) ، وآدم سميث (٣) . ثم جان جاك روسو الفيلسوف والكاتب الفرنسي المعروف ، وشارل جوستاف جاكوبي العالم الرياضي الألماني الذي عاش في القرن التاسع عشر

« هتشسون » مثلاً يرى أن هذه الحاسة تميز الخير من الشر كما تميز العين الألوان ، وتجعل المرء يحس مسرات وآلاماً معنوية خاصة هي نتيجة ما يعمل من خير وشر . و « روسو » يرى فيها ، وبعبارة أخرى يرى في الضمير لأنهما اسمان لمسمى واحد ، القوة التي تلهمنا القانون الأخلاقي . تراه يناجيه مناجاة خالدة يقول فيها : « أيها الضمير ، أيتها القوة الفطرية الخالدة ، أيها الصوت السماوي ، أيها القائد الأمين للإنسان الجاهل المحدود – وإن كان ذكياً – حراً في إرادته ، أيها القاضي الذي لا يضل في تمييز الخير من الشر ... إنه أنت أشرف جزء في طبيعته ، وإنك الفضيلة من أعماله . بدونك لا أشعر بما يرتفع بي عن الحيوانات ما عدا الميزة التي تجعلني أضل في ميدان الأخطاء ، وهي أداة الفهم التي لا قاعدة لها ، والعقل بدون مبادئ يسير عليها »(٤) . أما « جاكوبي » فيقول : « ما هو الخير ؟ كل امرئ يعلمه في قلبه إلهاماً مباشراً به وقوة إلهامية تبينه له »(٥)

هذا الفهم ؛ هذه الطريقة في تعرف القانون الأخلاقي يستحق ما وجه له من نقد شديد من كبار المفكرين وخاصة الأستاذ العلامة « ليفي بريل Lévy Bruhl » في مؤلفه القيم « الأخلاق وعلم العادات » حين يقول : « هذا المذهب يفترض أن الطبيعة الإنسانية هي واحدة في نفسها لا يعتورها التغير في جميع الأزمان والبيئات ، وأن محتوى الضمير الأخلاقي يكون مجموعاً منسجماً منظماً ، ولكنا علمنا سابقاً كيف كان اختلاف الأفكار الأخلاقية شديداً حسب العصور المتعاقبة ، وكيف اختلفت وتختلف

(١) فيلسوف انجليزي في الأخلاق (١٦٧١ — ١٧١٣) كان يرى أن الخير في توازن غريزتي حب النفس والغير

(٢) من العلماء الانجليز في الأخلاق واللاهوت (١٦٩٤ — ١٧٤٦)

(٣) أحد علماء الاقتصاد الأيكوسيين (١٧٢٣ — ١٧٩٠).

(٤) P. Janet: Eléments de philosophie scien. et phl. Morale.

(٥) Chullely : La philosophié scien. et phl. morale.

لا يتمكنون جميعاً من الالتحاق بالجامعة ، وأن الكثيرين منهم يرسبون بعد ذلك خلال مرحلة التعليم الجامعي ، وإذا علمنا أن الطالب كان يتعلم اللغة الإنجليزية إما للوصول إلى التعليم العالي أو التفاهم بها مع الموظفين الانجليز العديدين الذين كانوا يملأون دواوين الحكومة عند توظفه . وقد زال هذا السبب الآن واقتصر في تعلم اللغة على الغرض الأول وهو البحث العلمي والاتصال بالآراء الحديثة ، عرفنا مقدار التضحيات الجسام التي تضحي بها مصر الآن من مجهودات أبنائها ومن أموالها علاوة على إرهاق الطلبة في سبيل توصيل عدد ضئيل من أولئك الأبناء إلى التعليم الجامعي للانتفاع بتلك اللغة »

بعد هذا كله لا نرى أمامنا غير طريق واحد للسير بالتعليم قدماً نحو الديمقراطية الحقة ونحو النظم التعليمية والاجتماعية السليمة ونحو مصلحة مصر وشعبها وذلك بإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية إلغاء تاماً وإدماجها مع غيرها من مدارس الأطفال في مدارس شعبية موحدة

عبد الحميد فهمي مطر

أيضاً الآراء الأخلاقية باختلاف الأمم والشعوب[1] كيف كان من الممكن إذاً — لو أن هذا المذهب صحيح — أن توحى هذه الحاسة التى لا تضل كما يقولون هذه المبادئ المختلفة أشد الاختلاف بل المتناقضة فى بعض الحالات ؟ ثم إننا نحس أحياناً كثيرة تنازعاً وخصومة مؤلمة حادة فى ضمائرنا حتى ليكون أسهل على المرء أن يعمل واجبه متى تبين له من أن يعرفه بوساطة هذه الحاسة

إنه من المستحيل أن يحدّ المرء نفسه بكتابة الأخلاق تحت إملاء الضمير ، وإذاً فلننتقل إلى بحث الطريقة الأخيرة لمعرفة المثل الأعلى الأخلاقى ، وهى طريقة الاستقراء ، علّنا نصل إلى تحديده على نحو مقنع مرضٍ للجميع

يرى فلاسفة مذهب اللذة الشخصية أمثال « أريستيب Aristippe السيرينى و « أبيقور Epicure » اللذين عاشا فى القرن الرابع قبل الميلاد ، أن الناس جميعاً يتطلبون اللذة فى كل ما يعملون كما يفرون من الألم دائماً ، على اختلاف بينهم فيما يعنون باللذة وفى تطبيق هذه القاعدة التى هداهم إليها استقراء ما فطر عليه الناس من طباع . كذلك نرى بعض فلاسفة الأخلاق المحدثين يصدرون عن هذا المذهب . هاهو ذا « جرى بنتام » الفيلسوف الانجليزى المعروف فى القرن الثامن عشر يؤكد بعد استقراء طويل أن جميع الناس تهمهم المنفعة أو السعادة على أعمالهم حتى فى الحالة التى يضحون فيها ببعض المنافع أو يقبلون شيئاً من الآلام ، لأن ذلك معناه تطلب منفعة أكبر وأفضل . إلا أنه يضيف إلى هذا تأكيداً آخر هو أن اللذة تكبر وتتسع حتى تشمل أكبر عدد ممكن من الناس ، وأن سعادة كل امرئ لا تنفصل عن سعادة الجميع . من أجل هذا يجب على الإنسان باسم سعادته أو منفعته الخاصة أن يبحث فى أعماله عن « أكبر مقدار من السعادة لأكبر عدد ممكن » . وفى القرن التاسع عشر نجد « ستيوارت ميل » يبدأ بحثه بأن جميع الناس يبحثون عن السعادة ، فيرى لهذا أن تكون الغاية الإنسانية والمثل الأعلى الأخلاقى هى « السعادة النبيلة التى تأتى من اللذائذ العالية ، مثل لذة التضحية فى سبيل إسعاد الغير والإنسانية »

حقاً هـذا كله مقنع مرضٍ فى نتائجه إلى حدّ ما ، وحقائق نفسية لاشك فيها . ولكن بأى طريق وصلوا إليها ؟ ها نحن أولاء نقبل مؤقتاً فكرة أن جميع الناس يبحثون ويجرون وراء لذاتهم أو منافعهم أو سعاداتهم ، غير أننا إن وقفنا عند هذا التحقق الاستقرائى بقينا دون مستوى الأخلاق التى تبحث فيما يجب أن يكون لا فيما هو كائن بالفعل . وإن أردنا من المرء أن يوازن ويختار بين هذه اللذائذ الخاصة أو العامة أو بين هذه الوسائل والأعمال التى تؤدى إليها ، ندخل حقيقة فى مملكة الأخلاق ولكن فى الحين نفسه نترك مملكة التجارب والاستقراء !

فضلاً عن هذا فأخلاق المنفعة العامة تصطدم بهذا الاعتراض الذى لا محيص منه وهو أننا فى عديد من الحالات نجد تنازعاً بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة ؛ منفعتى أن يقتتل الناس للدفاع عن حقوق ووطنى وألا أخاطر بنفسى بالدفاع عنهم ، وصالحى الخاص أن يكون مال الغير على حبل الذراع حتى أنتفع به كما أريد ، وأن أقبض يدى وأحفظ مالى فلا أساعد به سواى . وإذاً فى مثل هذه التنازعات بين المنفعتين أرى أن أخلاق « ميل » التى تدعو للإيثار تدعونى لجعل منفعتى تابعة للمصلحة العامة ولتضحية تلك فى سبيل هذه متى تطلب الأمر التضحية . ولكن كيف يمكن قبول هذه التضحية أى تضحية المنفعة الخاصة فى سبيل العامة مع ما سبق أن قرروه من أن جميع الناس يجرون وراء لذاتهم ومنافعهم الخاصة ؟ أليس من التحايل المفضوح أن نضع تحت عنوان أخلاق المنفعة الخاصة أخلاقاً هى الإيثار الصريح ؟

إن من التعسف بل من المستحيل أن نأخذ من التأكيد الذى سبق تقريره وهو أن الناس يبحثون وراء لذاتهم أوسعاداتهم أنهم يجب أن يختاروا بين مختلف هذه اللذائذ والسعادات وأن يضحوا باللذات الدون التى مرجعها إرضاء عاطفة الأثرة فى سبيل الحصول على لذة من نوع أسمى وأعلى يحسها المرء من التضحية فى سبيل سعادة الآخرين ! ذلك التأكيد الاستقرائى وهذا الاختيار الواجب أخلاقياً طرفان لا يلتقيان على رأى « باسكال »

وأخيراً فكل المذاهب الأخلاقية التى تدخل فيها تجارب الحياة واستقراء ما فيها من البواعث والغايات تتحطم أمام هذه

(١) يرجع إلى العدد ٢٩١ من الرسالة

الحقيقة، وهى أن الاستقراء يعرفنا ما كان، بينما تقول لنا الأخلاق ما يجب أن يكون .

هناك بعض الاجتماعيين الأقرب عهداً من سابقيهم عرضوا ضرباً آخر من الأخلاق الاستقرائية ، هو أن الأخلاق ترجع أولاً إلى علم العادات الذى مرجعه استقراء التاريخ وملاحظة الحاضر ، يتداخل فيها فن عقلى ينظر فى الظواهر الاجتماعية والأخلاقية لتعديل ما يجب تعديله منها . هـذا هو المذهب الذى عرضه الأستاذ البحاثة « ليفى برهل » فى كتابه الآنف الذكر : « الأخلاق وعلم العادات » . الأخلاق أعنى مجموع الواجبات التى تفرض على الضمير ، لا تستند إلى مبادىء نظرية قامت عليها . إنها عمل ، إنها حقيقة ؛ عمل اجتماعى ، وحقيقة اجتماعية كذلك . « إننا لا نعمل أخلاق شعب أو أخلاق تمدن لأنها عملت سابقاً »

إنه بلا شك قد يحصل أن يعارض المرء الحقيقة الأخلاقية بمثل أخلاقى أعلى وصل إليه بالنظر . ولكن هذا البحاثة يجيب عن هذا بقوله : « فى الواقع ليس هذا المثل إلا ظهوراً فى غير آنه مع بعض التغيير لحقيقة اجتماعية فى ماض بعيد أو مستقبل ليس أقل منه بعداً ؛ وهذا يكون بالدقة بعض الشىء من هذه الحقيقة التى يجعلونه معارضاً لها » .

هذا ملخص ما رآه هذا العالم .

فما الرأى فيه ؟ موعدنا فى بيان ذلك الكلمة الآتية وهى تمام هذه البحوث إن شاء الله تعالى .

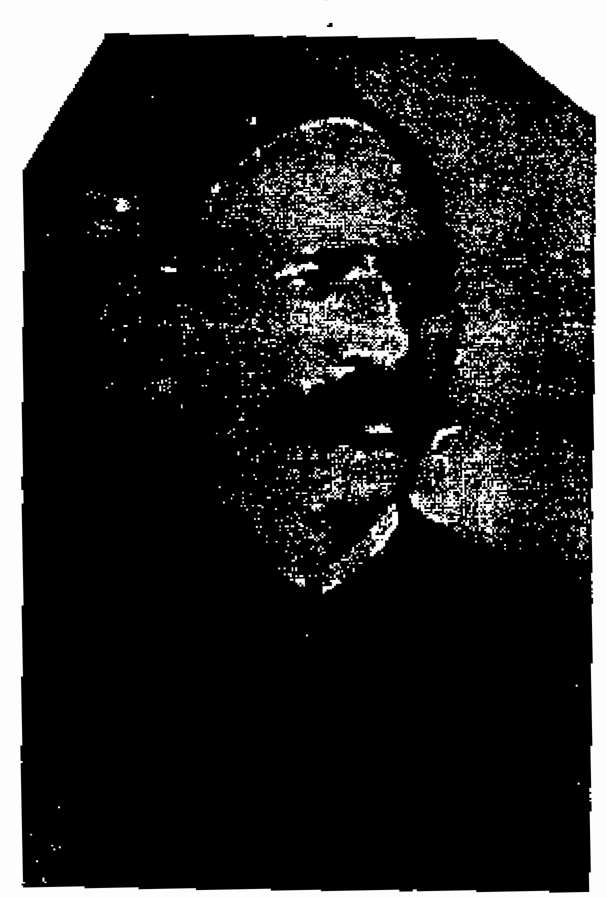
محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

التاريخ في سير أبطاله

أحمـــــــد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولندع الآن عرابياً في رأس الوادي ولننظر ماذا كان من أمر شريف ووزارة شريف . وهنا أبادر إلى القول إن هذه المرحلة من تاريخ مصر كانت أهم المراحل الماضية جميعاً منذ الحملة الفرنسية وأدقها وأبعدها أثراً فيما هي مقبلة عليه بعدها من مراحل

ظن الناس أن قد انجلت الغاشية على نحو ما صور المستر بلنت ولكنهم لم يكونوا يعلمون أو لم يكن يعلم إلا الأقلون منهم أن وراء هذا الصفو كدراً ، وأن سماء السياسة كانت يومئذ كسماء الطبيعة صفت هنيهة لتتلبد بعدها بالسحب المركومة ، ولتتلاق في جوانبها غرابيب سود من الغربان الناعبة فتكون حلكتها وظلمتها بعد هذا الصفو أقبح ما تكون منظراً وأشد ما تكون إيلاماً للنفوس وإزعاجاً للخواطر

وكيف كان يرجى دوام الصفاء وقد كانت الشباك منصوبة وقد أخذ الصائدون يدفعون الفريسة إليها دفعاً بعد أن أعياهم الأمر فلم يستطيعوا أن يأخذوها بالحيلة أو أن يعصبوا عينيها كما كانوا من قبل يفعلون ؟

كيف كان يرجى الصفاء وقد كان الخديو يضمر عكس ما يظهر كأن لم يكفه ما أصاب البلاد من جراء سياسته وتنكره للحركة الوطنية وإبعاده بما فعل الثغرة التي كان ينفذ منها الدخلاء والمتربصون بمصر إلى صميم حركتها وقلب نهضتها ؟

وما أشبه توفيقاً في ذلك الموقف ، بل وفي معظم مواقفه كما أسلفنا بلويس السادس عشر ، ذلك الملك الطيب القلب الذي كان يدفع الثورة في بلاده بمسلكه دفعاً ، والذي يعزى إلى سياسته الملتوية المذبذبة أن تنكبت تلك الثورة منهاجها السلمي العاقل واندفعت في طريق جرت فيها الدماء وتطايرت على جانبيها الأشلاء

ظهر ذلك الملك للنواب أول الأمر في جلد الأسد ، ثم استخذى بعد وثبة ميرابو ، ولكن الشائعات طافت بأهل باريس أن الملك أخذ يستعد ويجمع حوله الجند ، فما لبث أن جرت الدماء في باريس ودك الناس الباستيل رمز العبودية والجبروت ؛ ثم رأى أهل باريس بين الدهشة من الملك والزراية عليه والتهزؤ به أنه يركب في جماعة من النواب كان في مقدمتهم ميرابو فيزور باريس ويطوف بأنحائها ويمر بخرائب الباستيل مظهراً عطفه على الثورة والثوار ، ولكنه يعود بعد ذلك فيأتي من معاني التحدي والنزق ما يحمل الشعب يذهب فيقتحم عليه غرف قصره في فرساي ويعود به إلى باريس ليكون رهينة فيها ، ويتم الدستور فيرفع إليه فيوافق عليه ولكن ريثما يعد العدة للهرب ، ثم يضبط المسكين وقد أوشك أن يجتاز الحدود فيقضي هذا العمل عليه وتمضي الثورة في طريقها مجنونة لا تلوي على شيء حتى تأكل آخر الأمر نفسها

ولقد كان توفيق يسلك تجاه الثورة العرابية مسلك لويس تجاه الثورة الفرنسية مع فارق واحد وهو أن الخديو كان من ورائه الإنجليز فلما لجأ إليهم توفيق كما هرب لويس لم يقض هذا العمل عليه وإنما قضى على البلاد

تخلص توفيق من رياض وقد كان يسعى إلى التخلص منه ،

فكيف أراد أن يسلك شريف مسلك رياض ولقد كان الفرق بين الرجلين هو الفرق بين الاستبداد والديمقراطية ؟

لقد عادت الظروف من جديد تبين للخديو بأجلى وضوح أن الطريق الوحيـدة هى الانضمام إلى الحركة الوطنية ومشايعتها فى صدق وإخلاص ، فنى ذلك منجاته من تطرف هذه الحركة وجموحها ، وفى ذلك منجاة البلاد من تدخل الأجانب باسم المحافظة على عرش الخديو، ثم من احتلال البلاد باسم القضاء على الفتن والقلاقل

ولكن الخديو تنكب هذه الطريق فدفع تيار الثورة بعمله هذا كما كان لويس يدفع تيار الثورة فى بلاده . ولقد رأينا كيف آنس الثوار فى أنفسهم القوة منذ انضم العساكر إلى الحركة ، وكيف فهم الزعماء أنهم حصلوا على ما حصلوا عليه عن طريق الارهاب والقوة، بعد أن عجزوا عن ذلك عن طريق المسالمة والرجاء

ومن عجيب الأمور أنه لما انتهت الثورة إلى ما انتهت إليه حمل زعماؤها كل أوزارها وخرج عرابى المسكين بالنصيب الأوفى من هذه الأوزار ؛ مع أن الحوادث تثبت عكس ذلك ، وهى لو درست على حقيقتها وردت فيها الأمور إلى أصولها لرد ما يعزى إلى عرابى أو أكثره إلى الخديو دون أن يكون فى ذلك أقل تجن على هذا ولا أدنى تحيز لذاك

سار شريف على نهج حكيم فأرضى الأجانب بقبوله المراقبة الثنائية، وأرضى الوطنيين بتحقيق الآمال الوطنية، ولكنه ما لبث أن أحس أن هؤلاء الأجانب لا يدعون وسيلة لضم الخديو إليهم حتى لقد ترك شريف بعد مدة وجيزة يعمل وحده ، وكأنما وضع الخديو نفسه بنفسه فى عزلة

ولو أنها كانت عزلة عن الوطنيين دون اتصال بالأجانب وعلى الأخص بالإنجليز لهان أمرها ؛ ولكن توفيقاً قد سبب بعزلته أول الأمر ريبة ومخاوف فى قلوب العسكريين ؛ ثم تطورت الحال إلى كراهة وأدت الكراهة إلى المقاومة من جديد . ولقد كان أمام توفيق فى الواقع هيئتان : الوطنيون برياسة شريف ، والعسكريون بزعامة عرابى . وكان يستطيع بشىء من الكياسة والمهارة أن يرضى الوطنيين حتى لا يدع مجالاً لتدخل العسكريين من جديد، ولقد رأى بنفسه ما كان من أمر هذا التدخل بالأمس القريب

افتتح مجلس شورى النواب فى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ وجاء فى خطاب توفيق فى حفلة الافتتاح ما يأتى : « أبدى لحضرات النواب مسرورىتى من اجتماعهم لأجل أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهم بالنفع ، وفى علم الجميع أنى من وقت ما استلمت زمام الحكومة عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للآن بسبب المشكلات التى كانت محيطة بالحكومة ، فأما الآن فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشكلات المالية بمساعدة الدول المتحابة ومن تخفيف أحمال الأهالى على قدر الإمكان، فلم يبق مانع من المبادرة إلى ما أنا متشوق لحصوله وهو مجلس النواب الذى أنا فاتحه فى هذا اليوم باجتماعكم »

هذا هو كلام الخديو فهل كانت هذه نياته؟ تلك هى المسألة ونرى أن خير ما نجيب به هو أن نعرض الحوادث التى تلت ذلك ومنها يتبين إلى أى حد كان الخديو ينوى ما يقول

دأب الذين كانوا يعملون من وراء ستار على تخويف الخديو من ناحيتين : ناحية الحركة الوطنية وناحية تركيا موحين إليه فى الأولى أن حكم الدستور معناه ضياع سلطة الخديو، وفى الثانية أن تركيا لا ترتاح إلى توفيق وأنها تبيت له ما لا يحب . وغرض هؤلاء الذين كانوا يعملون فى الظلام واضح وهو أن يركن الخديو إليهم ليخلص من هذا كله

أما من حكم الدستور فكان ذلك يقتضى حقاً أن يتنازل الخديو عن جانب كبير من السلطان المطلق إلى نواب البلاد وتلك هى المشكلة ، وما كانت مشكلة فى مصر وحدها ، بل لقد كان لها مثيلات فى جميع الحركات الدستورية التى شهدها العالم ، فما قام الخلاف بين الملكية والشعب فى فرنسا إبان ثورتها إلا من هذه الناحية . وما استمرت القلاقل قروناً بين الملكية والشعب فى إنجلترة إلا بسبب ذلك . وما استقرت الأمور فى الدولتين إلا حينما أثبت الشعبان قوتهما . وإذاً فكان لابد أن يتفاقم الخلاف بين الشعب والخديو فى مصر حتى يثبت الشعب قوته أو يتنازل الخديو عن مبدإ الحكم المطلق ، ومن هذا الخلاف كانت تتاح الفرص للأجانب ليسيطروا على الخديو

وأما عن تركيا فقد كان توفيق يستريب ويخاف من سياستها . فكر السلطان أولاً أن يرسل جيش احتلال إلى مصر ليعيد فيها نفوذ الخلافة سيرته الأولى قبل عهد محمد على ؛ ولكن انجلترة وفرنسا ما زالتا به حتى استطاعتا بالسياسة حيناً وبالتهديد من بعد حيناً آخر حتى أقلع عن هذه الفكرة . ولقد أفادتا من ذلك فائدتين : بقاء مركز مصر على ما هو عليه بحيث يسمح لهما بالتدخل فى شؤونها ؛ والتأثير على الخديو بهذا أنهما هما اللاذ والسند

ولقد كان الأمير عبد الحليم بن محمد على فى الآستانة يدس الدسائس ويسعى سعياً متواصلاً لخلع توفيق وتولى حكم مصر بدلاً منه ، وكانت سيرة ذلك النشاط تزعج توفيقاً وتقلق مضجعه

وأخيراً أوفد السلطان وفداً إلى مصر برياسة على نظامى باشا ، وقد فعل السلطان ذلك دون علم الدول الأوربية ، ولم تعلم بذلك حتى الحكومة المصرية نفسها إلا عند ما وصل الوفد .

وكان عرابى قد كتب إلى السلطان قبل يوم عابدين كما أشرنا. ولعل السلطان أوجس خيفة من الحركة القائمة فى مصر ، وظن أنها تنطوى على عناصر استقلالية ترمى إلى خلع سيادة الأتراك . وقد كان عبد الحميد يومئذ يقاوم الحركات الحرة فى بلاده ويبطش بالداعين إليها . ولكن الوفد كتب تقريراً عن الحال فى مصر جاء فيه على لسان الخديو أن البلاد هادئة ليس فيها ما يخيف. وجاء على لسان رئيس الوفد أن رجال العسكرية والزعماء جميعاً يؤكدون ولاءهم للسلطان، وإنه لذلك يثنى عليهم ولا يخالجه شك فى حركتهم . ولقد قامت الدولتان بمظاهرة بحرية فى مياه الأسكندرية؛ فلما سألتهما الحكومة المصرية عن سبب ذلك أجابتا أن سفنهما تغادر الأسكندرية فى اليوم الذى يسافر فيه الوفد العثمانى عائداً إلى الآستانة ؛ وقد تم ذلك فعلا حينما غادر الوفد البلاد ، ومعنى ذلك أن الحكومتين لن تسمحا للسلطان صاحب الحق الشرعى فى البلاد حتى بمجرد النظر فى أحوالها ، ومعنى ذلك أيضاً أن يزداد تأثيرهما فى قلب الخديو فيلجأ إليهما إذا لزم الحال حتى ضد السلطان نفسه !

ورب قائل يقول إن فى مسلك تركيا ودسائس عبد الحليم ما يدع للخديو العذر فى الاعتماد على الدولتين ، ولكن هذا زعم باطل ؛ فرجال مصر جميعاً لم يكونوا فى تلك الأيام يفكرون مطلقاً فى الخروج عن سيادة تركيا، كما أنهم كانوا لا يسمحون للسلطان أن يزيد حقوقه فى مصر عن القدر المقرر فى الفرمانات . ولنفرض جدلاً أن للخديو الحق فى أن يخاف جانب السلطان أفلا يكون بالتجائه إلى الدولتين كالمستجير من الرمضاء بالنار، كما يقول المثل العربى ؟ وهل كانت الدولتان تحميانه إلا لغرض ؟ وهل كان هذا الغرض إلا رغبة كل منهما أن تحل فى مصر محل السلطان ؟

إن الحوادث كلها كانت تشير للخديو إلى الطريق الوحيدة التى كان عليه أن يسلكها ، ولكنه كما ذكرنا اختار الانحياز إلى جانب انجلترة منذ حادث عابدين مع تظاهره دائماً أنه يعطف على أمانى البلاد ، وفى ذلك الخطر كل الخطر وفيه من أجل ذلك مسؤولية الخديو عن اتجاه الحوادث بعد ذلك إلى تلك السبيل التى أفضت بالبلاد إلى كارثة الاحتلال

ونعود إلى عرابى فنقول : إن الحكومة قد استدعته من مقره فى رأس الوادى وأسندت إليه منصب وكيل وزارة الحربية ؛ وهو يعزو هذا العمل إلى ما بلغ الحكومة على لسان جواسيسها أنه يجول فى بلاد مديرية الشرقية فيتصل بالوجوه ومشايخ العرب محرضاً داعياً إلى نشر مبادئه وأغراضه . ويذكر عرابى أنه أنعم عليه وقتئذ برتبة اللواء (باشا) ولكنه رفضها مخافة أن يتهم أنه يعمل لشخصه . ولئن صح هذا وهو ما لا نستبعده، لكان لنا فى مغزاه حسنة نضيفها إلى حسنات هذا الرجل ؛ حسنة نعتبرها من كبرى الحسنات فإن التهافت على الرتب والألقاب لم يزل حتى اليوم فى بلادنا المسكينة داء عياء يتغلغل فى نفوس سادتنا وكبرائنا !

ونقول لئن صح ذلك لأن الخبر من جانب عرابى فهو فى مرتبة الدعوى! ونقول إنا لا نستبعده مستندين فى ذلك إلى شاهد قوى؛ فهذا الرجل كان بطل الانقلاب يومئذ وعلى يده وصلت مصر إلى ما وصلت إليه ؛ فلم يفد من وراء ذلك أية فائدة شخصية . ولو كانت فى نفسه يومئذ أطماع من هذا القبيل لرأيناه يصل على الأقل إلى مرتبة الوزير ، ونقول على الأقل لأنه كان فى موقف تحكم فيه فى الخديو وفرض عليه الشخص الذى يؤلف الوزارة ، وهو موقف يوحى إلى الأنفس الغرور ، فلو خالج نفس عرابى يومئذ طمع فى جاه أو منصب لما وقف دونه إلى ما يبتغى حائل

ولقد اتصل بعرابى فى منصبه الجديد المستر بلنت وطلب صداقته فأجابه عرابى فى سرور إلى ما طلب وتصافحا . ولسوف تتمكن بينهما الصداقة وتتوثق عرى المودة سنين طويلة بعد ذلك

وجرى بين عرابى وبلنت فى هذا اللقاء حديث أثبته كل منهما فى مذكراته وفيه أشار عرابى إلى ارتياحه إلى تخلص مصر من مساوئ حكم اسماعيل ومن دسائس الجراكسة ، ولكنه أبدى مخاوفه من سياسة انجلترة وفرنسا نحو مصر ، وعبر عن أمله فى أن تعطف انجلترة على حركة الحرية فى مصر وهى الدولة التى تقدر الحرية ، وكان عرابى يتوقع العطف من انجلترة أكثر مما يتوقعه من فرنسا ولا سيما من جانب المستر غلادستون الذى اشتهر بعطفه على الحرية فى كل مكان

وليت شعرى ماذا يطلب الذين يرمون عرابياً بالطمع والجهل والنزق ، أكثر من هذه البراهين التى نسوقها على أنه كان بريئاً من هذا كله؟ ألم يأن لهؤلاء أن يقرأوا سيرة هذا الرجل فى غير تحامل عليه حتى يعرفوا لهذا المصرى المجاهد قدره وأثره فى نهضتهم القومية؟ وهل يوجد فى المعايب القومية عيب هو أشد قبحاً من جهل قوم برجالهم فى الوقت الذى يرون غيرهم يمجدون ذكرى رجالهم فيوحون

نقـل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٢٠ — والجروح قصاص

كان فتى يجلس إلى أبي الحسن الحراني ، وكان يشرب الخمر فسكر ذات يوم فسقط على زجاجة فشجّ وجهه ، فاختفى إلى أن برئ ثم عاد إلى مجالسة الشيخ فلما رآه أنشد :

أجريح كاسات أرقت نجيعها　　طلب التّرات يعز منه خلاص[1]
لا تسفكن دم الزجاجة بعدها　　إن الجروح (كما علمت) قصاص[2]

ففهمها الشاب فتاب

٤٢١ — فهو تعلمني وهو لك ...

في (الحيوان) للجاحظ : قال صاحب الأهواز[3] : ما رأينا قوماً أعجب من العرب . أتيت الأحنف بن قيس فكلمته في حاجة إلى ابن زياد ، وكنت قد خلطت في الخراج ، فكلمه فأحسن إليّ وحطّ عني . فأهديت إليه هدايا كثيرة فغضب وقال : إنا لا نأخذ على معونتنا أجراً . فلما كنت في بعض الطريق سقطت من رداني دجاجة فلحقني رجل منهم فقال : هذه سقطت من ردائك . فأمرت له بدرهم ، ثم لحقني بالأبلة[4] فقال : أنا صاحب الدجاجة

(١) النجيع : دم الجوف في الأصل (التربة.) الثأر ، الذحل

(٢) يسفك : بكسر عين الفعل وقد تضم وقرئ بها . في الآية : والجروح قصاص أي ذات قصاص والقصاص والتقاص في الجراحات شيء بشيء

(٣) الأهواز : سبع كورين البصرة وفارس

(٤) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة (معجم البلدان)

ثم لحقني بالأهواز فقال: أنا صاحب الدجاجة. فقلت له : إن رأيت زادي بعد هذا كله قد سقط فلا تعلمني وهو لك ...

٤٢٢ — ... والريح في فمي فاعزم وتوكل

قال زنام[1] الزامر : قال لي المتوكل : تأهب معي إلى الشام فقلت : يا أمير المؤمنين ، الناي في يدي ، والريح في فمي[2] فاعزم وتوكل

٤٢٣ — وقت شرابها نار العذاب

قال الثعالبي: بلغني أن ديوان شعر ابن مطران[3] حمل إلى حضرة الصاحب فأعجب به فقال : ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله ، ومما له في الشراب المطبوخ :

وراح عذبها النـــار حتى　　وقت شرّابها نارَ العـذاب
يذيب الهمّ قبل الحسو لونٌ　　لها ، في مثل ياقوت مذاب
ويمنحها المزاج لهيب خـــد　　تشرّب ماؤه ماء الشـباب

فتعجب من حسن البيت الأول وتحفظه ، وكان كثيراً ما ينشده كأنه مقلوب قول السريّ في الخمر :

هات التي هي يوم الحشر أوزار　　كالنار في الحسن عقبى شربها النار

٤٢٤ — مغن ...

الثعالبي في (خاص الخاص) سمعت أبا بكر الخوارزمي غير مرة يقول :

أنا أحفظ في هجاء المغنين ما يقارب ألف بيت ، وليس أبلغ وأوجز وأطرب من قول أبي الفتح كشاجم[4] :

ومغن بارد النغـــمة مختل اليــدين
ما رآه أحـــد في　　دار قوم مرتين[5]

(١) الصريشي : زنام الزامر هو الذي أحدث الناي ، وهو الزمار الذي تدعوه عامتنا بالمغرب الزلامي فصحفوه بإبدال نونه لاما وإنما هو زنامي

(٢) فالأمر لا يحتاج إلى تأهب ...

(٣) أبو محمد الحسن بن علي بن مطران ، كان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس وأدب الانس فيطرب بنثره كما يطرب بشعره ، ويؤنس بهزله كما يؤنس بجده ، وكان مضطرب الحلقة (اليتيمة)

(٤) قال أبو إسحق الحصري : كشاجم هذا اسمه محمود بن الحسن . كان كامل آلات الظرف . وقد ذكروا أنه سمى نفسه (كشاجم) فالكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجم ، والميم من مغن . (قلت في (أعلام الأستاذ الزركلي) اسمه محمود ابن محمد بن الحسين

(٥) في ديوانه ونهاية الأرب بعده :

ثقـــريه أثقل الســـنات من سطوة بين

إلى الأجيال القادمة معاني الرجولة بما يقدمون لهم من الأمثلة ؟

لقد أعجب بلنت بعرابي ووقعت عباراته من نفسه موقعاً حسناً. يقول بلنت في ذلك : « وكان لهذا اللقاء الأول من حسن الأثر على رأيي في الضابط الفلاح ما حملني على الذهاب في الحال لصديق الشيخ محمد عبده لأفضي إليه بحقيقة هذا التأثير[1] »

ولقد بلغ من تأثر بلنت أن اقترح وضع تقرير عما أخبره عرابي به ليرسله إلى المستر غلادستون ، ثم اشترك مع الشيخ محمد عبده في كتابة برنامج الحزب الوطني وأطلعا البارودي عليه فوافقهما ثم أطلعا عرابياً عليه أيضاً فأقره وتولى بلنت رفعه إلى غلادستون .　　« يتبع »　　الخفيف

(١) مذكرات بلنت ترجمة البلاغ

٤٢٥ — في فساد الأحوال لله سر !

سوفي :

في فساد الأحوال لله سرّ والتباس في غاية الإيضاح !
فتقول الجهال قد فسد الأمر وذاك الفساد عين الصلاح !

٤٢٦ — كان ماذا ؟

في (طراز المجالس) : سمع عن العرب كان ماذا[1] ، ووقع

(١) ابن مالك : إن (ما) الاستفهامية إذا ركبت مع (ذا) تفارق وجوب الصدارة فيعمل فيها ما قبلها رفعا ونصبا فالرفع كقولهم : (كان ماذا) والنصب كقول أم المؤمنين أقول (ماذا) وفي شرح للفتاح الشريفي يجوز تأخير أدوات الاستفهام عن العامل لعدم بقاء سن الاستفهام. ونظيره ما ورد : أدخل من أي أبواب الجنة شئت ، وفي الأمالي القالي : قال أبو السمراء : ألقيت على جارية هذا البيت :

بعيد وصل قريب صد جعلت منه لي ملاذا

فقالت في سرعة :

وعاتبوه فذاب عشقا ومات وجداً فكان ماذا ؟

وفي (الكامل) في خبر : أكنت قائلة ماذا ، وفي (الأغاني) : قال معاوية تريد ماذا (الجزء ١٣ الصفحة ١٠٢)

في شعر ابن المرجل فأنكره ابن أبي الربيع ، فصنف في الرد عليه مصنفاً ، وأنشد فيه لنفسه :

عاب قوم (كان ماذا) ليت شعري لم هذا ؟
وإذا عابوه جهلاً دون علم كان ماذا ؟

٤٢٧ — عاشق مفلس ...

مرت جارية للقاسم بن الرشيد جميلة ، وفي كفها نرجس ، فجمشها[1] أبو نواس ، فلم تكلمه ، فقال : ما أقبح الهجر بك ياسيدتي . فقالت : أقبح من هجري إفلاسك . فأنشأ يقول :

قلت لها يوماً ومرت بنا رُعبوبة في كفها نرجس:[2]
ما أقبح الهجر ! فقالت لنا : أقبح منه عاشق مفلس

(١) الجمش والتجميش : المغازلة
(٢) جارية رعبوبة : شطبة تارة ، أو بيضاء ، أو طويلة (اللسان) شطبة تارة : في بدنها تزارة وهي امتلاؤه من اللحم وري العظم (الأساس) (قلت لها) : لا يحذف الضمير هنا مراعاة للمعنى ، وهو يحذف عند النحاة في مثل هذه القاعدة في (الشارع) : أكرمت وأكرمني زيد ، ومررت ومر بي زيد ، وابن عقيل يقول : قد جاء في الشعر :

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب جهاراً ، فكن في الغيب أحفظ للعهد
وألغ أحاديث الوشاة فقلما يحاول واش غير هجران ذي ود

شبح الحرب

للأستاذ محمود غنيم

هو الموت أن قامت على ساقها الحرب
وإلا فحسب الناس ما يفعل الرعب
يلوح لهم فى النوم والصحو طيفها
ودون انتظار الخطب أن يقع الخطب
فزعنا فلا جفن من الخوف مطبق   ولا مستقر فى مضاجعه جنب
ولا أنف إلا عالق بكمامة   ولا دار إلا شق فى جوفها جب
وما اكتوت الأيدى ولا احترق الحشا
بجمر كجمر لا يشب ولا يخبو
فيأيها الليث المكشر للورى   حنانيك إما الانصراف أو الوثب

* * *

مطامع غص الغرب ومض سرابها
فأصبح يصلى نارها الشرق والغرب
كأنى بها قامت وشب أوارها
وقد جفت الأقلام وانطوت الكتب
سفين بلج البحر يرميه مثله   وسرب بأعلى الجو يقذفه سرب
وبينهما تمشى المنايا كأنها   طيور وأرواح الأنام لها حب
وفى لا الدروع السابغات موانع
أذاها ولا يجدى بها الصارم العضب
كل حد السيف وانقصف القنا   وأصبح لا طعن هناك ولا ضرب
كأنى بها ترى مدافعها فلا   يطيش لها سهم ولا مقرب ينبو
تدمر ما تأتى عليه لو انها   تصوب نحو الألب دك بها الألب
هى البرق خطافاً هى الرعد قاصفاً
هى الشهب إذ تهوى من الفلك الشهب
فمن كان يصطاد الحمام بنبله   فإن لنا نبلاً يصاد به القطب
كأنى بها والطائرات بنازها   تجود كما جادت بوابلها السحب
يمد إلى الأرواح كفيه خلسة
فلا الرأس مقطوع ولا الدم منصب
رقيق الحواشى لا تكاد تحسه   وألين منه الصخر والمعدن الصلب
له قطرات لا يبل بها صدى   ولا يابس تبقى عليه ولا رطب

إذا انتشرت فى الأفق لم ترع حرمة
لأنثى ولا شيخ علا رأسه الشيب
إذا انتشرت فى الأفق تصرع كاعبا
وتخنق أماً خلفها طفلها يحبو
لقد شيب بالسم الهواء فهل ترى   يشاب من الأنهار سائلها العذب

* * *

أرى الغرب يدنو كالفراش من اللظى
ألقوم فى إحراق أنفسهم إرب ؟
ويا رب حرب منذ عشرين حجة   بكل فؤاد من جراحتها ندب
أضرت بحزبيها وإن تم نصرها   لحزب وقاسى ذل خذلانها حزب
إذا ما ذكرناها اقشعرت جلودنا   إذ الناس كالأنعام قوتهم العشب
ولاذوا بأكناف الخنادق ما لهم   مضاجع غير الترب لو نفع الترب
يقاسون حراً ما اللهب بحمله   يدان وبرداً ليس يحمله دب
وحشو أنوف القوم غاز مسمم   وللنار فى أجسامهم مرتع خصب
فيا لحروب لا تجف دماؤها   ويا لشعوب كلما نهضت تكبو
أجدكمو يا قوم طال بنا السرى   ولم يسترح حيناً من السفر الركب
لقد سار نحو المجد قوم فأدلجوا   ولم يطلعوا أين انتهى بهم الدرب
ولو أنفقوا فى الخير ما ينفقونه
على الحرب عم الخصب وانقطع الجدب
ولم يبق طاو ليس يملك قوته   ولم يبق عار ليس يستره ثوب

* * *

شعوب بعصر النور يفتك بعضها   ببعض كما يعدو على الحمل الذئب
يمثل بالإنسان فى الغرب بينما   يعيش قرير العين فى ظله الكلب
إذا قنص الليث الغزالة ساغباً   فما ذنب شعب بات يقنصه شعب
ذنوب الضعاف العاجزين كثيرة   وما لقوى إذ تحاسبه ذنب
كأن ليس بين العالمين شرائع   ولا خلفهم حشر ولا فوقهم رب
ولا فى قوانين البرية رحمة   ولا شىء فى الدنيا يقال له الحب
ولم يبق معبوداً سوى القوت وحده
فكل فؤاد مستهام به صب
عزاء لنا أن الحضارة أفلست   فرونقها زيف ومنطقها كذب
إذا ما تمثلت الحضارة خلتها   لباة لها جوف وليس لها قلب
سل العلماء الفاخرين بعلمهم   أجاءوا بنور العلم أم ناره شبوا
تقدم فن الموت أى تقدم   وسار بطيئاً خلفه القدم الطب

الملك الطفل فيصل الثاني

للآنسة زينب الحكيم

صورة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني تدل على شخصية طامحة للعظمة ... رجل صغير في الثالثة من عمره ، يمتاز بسمات النجابة ، والنظرة اليقظة ، والرجولة البادية آثارها في يديه المعقودتين وراء ظهره ، ولباس الضابط الذي يحتوي هذه الشخصية الكبيرة الوثابة على الرغم من حداثة السن ومن الطفولة البريئة ، إنما يشير إلى النفع والمساعدة والتضحية . ويكمن في قسماته غموض عميق

لقد كان لي شرف مقابلة جلالة والده المغفور له الملك غازي الأول ، وكان ذا شخصية كريمة ، وسجايا عربية سمحة ، وهمة بدوية نافذة مع تقلب الظروف حوله

انصرفت من حضرته ، وقد أثر في نفسي طلاوة حديثه ، وإعانه بالاعتماد على نفسه بعد الله في الأخذ بيد شعبه إلى مراقي السمو والفلاح ؛ مستمداً من شعبه الكريم الهمة والشجاعة

إن في سيرة فيصل الأول وابنه الراحل بسبب الحادث المشئوم ، ما يظهر للناس كيفية البلوغ إلى العظمة ؛ ولهذا فكانا ملكين من أحكم الملوك وأعظمهم

إني قوية الأمل شديدة الرجاء في أن يهيئ قادة الرأي في العراق أجل الفرص للمليك العزيز فيصل الثاني ، لأن يتصفح تاريخ أبيه وجده ، فهو سفر ذو صفحات زاخرة ، فيها إصلاح وتجديد ، وفيها حكم وعبر ، وفيها قدوة حسنة

* * *

لعمري ماذا تكون رسالتك « يا غازي » رحمة الله عليك وأنت في عالم الأبدية إلى الأحياء ؟ لسوف تتكلم من عالم الحقيقة ولسوف تُسمع كلماتك ويطاع أمرك بحماس وينفذ بقوة

إني أستمع موسيقى رسالتك بين طبقات الأثير ، ولا تلبث الرسالة أن تصل إلى إدراك الأحياء . وأشعر أن أول رسالة منك هي لابنك العزيز وستكون نفسه أسرع لالتقاطها ، وكنت الأب العطوف عليه وهو شديد التعلق بك . إن رسالتك إليه رسالة معنوية صامتة ، تدركه فترحه من انزعاجه لفقدك ، وتقوى من عزيمته لتكون مستقبله الذي سيكون زاهراً بإذن الله

أما الرسالة الثانية : فهي إلى الزوجة الثكلى ؛ وهي رسالة من شهيد ينعم برضاء ربه ، رسالة زوج تحرر من قيود الملك وعناء الشكليات ، ولذلك فهي رسالة عطف غامر طاهر ، ترد عليك بعض لهفتك يا والدة فيصل الثاني وتقوى من احتمالك للمصيبة ، وتستنهض همتك لإدراك روح غازي في ابن غازي « فيصل طفل اليوم » ، وبفضلك وحزم رعايتك يكون رجل الغد المسئول

من أهم ما لفت نظري وأنا أتتبع تاريخ حياة الملكة فكتوريا الطريقة التي اتبعتها في تربية أولادها . روى عنها أنها كلما أرادت اختيار مربية لأولادها ، كانت تكلف بعض خلصائها أن يبعثوا إليها ببعض من يثقون بهن من المربيات ، وكانت لا تقابلهن في بادئ الأمر ، وإنما تأمر بأن تقدم المربية إلى الأطفال مباشرة وهي تراقبها معهم من وراء ستار . وكان يتوقف قبولها أو رفضها للمربية على تلك المقابلة الأولى مع أطفالها . سئلت مرة عن السر في قبولها إحدى المربيات وقد أثنت عليها دون تحفظ وودت لو كان جميع المربيات مثلها فقالت : لقد رأيت فيها حنو الأم الطبيعي وتضحيتها الصادقة في معاملة الأطفال مما دعاني إلى الظهور لها من وراء السجف لأشكرها وأشعرها برضائي عنها

وهكذا كان لها رأي خاص بالنسبة لاختيار المرشحين من الرجال، وكانت تختار من تتوسم في معاملاته للأطفال الأصدقاء

فظائع لم يحلم أوائلنا بها

فيا ليت شعري ما الذي يضمر الغيب ؟

سُحقاً لعصر النور سحقاً لأهله ... تَنكّل بني حواء دأبهم السلب

كذلك شأن الناس من عهد آدم ... تباينت الأشكال واتحد اللب

وحسب بني حواء عيباً حروبهم ... إذا لم يكن غير الحروب لهم عيب

(مدرسة الأورمان) ... محمود غنيم



دراسات في الفن

الغناء بين الارتجال والربط

بمناسبة ذكرى عبده الحامولي

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

أشير على وزارة المعارف أن تفكر في إحياء ذكرى عبده الحامولي فحدث أن استجابت للاشارة وفكرت ، وجمعت وزارة المعارف — كعادة الوزارات كلها حين تعتزم التفكير في جلائل الأمور — حزمة من الرؤوس المفكرة كانت درتها التألقة رأس معالي وزير المعارف الأديب الفنان ، وطرحت مسألة الذكرى أمام هذه الرؤوس المفكرة ففكرت فيها وفكرت ، ساعة أو ساعتين ، فكرت ثم خرجت بتفكيرها أو خرجت من تفكيرها بأن هذه المسألة عقدة معقدة ، وأنها ليست من المسائل التي يحلو التفكير فيها للرؤوس المفكرة بحيث تطيق أن تستوعبها وأن تلم بأطرافها أو تعتصرها في جلسة واحدة فأفسحت للتفكير فيها من وقتها خمسة شهور تبدأ في مايو هذا وتنتهي في أكتوبر المقبل تنفرط فيها حزمة الرؤوس المفكرة لتملك كل منها التفكير فيها، وهي على حدة في مسألة ذكرى الحامولي المفقدة ثم تجتمع بعدها ليقول كل رأس منها لإخوته : أي حل يسَّره ، أو أي تيسير قدَّره

وأخشى ما نخشاه هو أن تعود حزمة الرؤوس المفكرة بعد هذا الاجتماع فتنفرط، ثم تعود فتجتمع، ويطول بها الانفراط والاجتماع حتى تصبح ذكرى الحامولي من مشكلات الدولة المستعصية كما استعصت على الدولة قبلها مشكلة الأوقاف الأهلية ، ومشكلة مياه الشرب في القرى ، ومشكلة تعليم اللغة العربية وغير ذلك من المشاكل الملعونة الجاحدة التي طالما أجهدت — في غير رحمة ولا استحياء — حزماً من الرؤوس المفكرة

على أننا لا نزال مستبشرين خيراً ، فإنه لا يبعد على الله ، ولا يكثر على الله، أن يسأل رأس من هذه الرؤوس المفكرة نفسه في بحر هذه الشهور الخمسة عن عبده الحمولي : من هو ؟ فعندئذ لا بد أن يجيب هذا الرأس نفسه بأن عبده الحامولي كان مغنياً . وقد يحدث بعد أن يطرب هذا الرأس المتسائل لتوفيق الله الذي مكنه من إصابة هذه الحقيقة البعيدةالثانية أن يذكر أن عبده الحامولي كان مغنياً من نوع كاد ينقرض من بين أهل الحرفة اليوم ، لا لأن أهل الحرفة قد خسرن إحساسهم ؛ وإنما لأن الحياة نفسها استدعت هذا الانقراض ، وهي لا تزال تستدعيه .

لقد كان المغنون في الجيل الماضي يغنون في اجتماعات عامة من حيث إقبال الناس عليها ، ولكنها كانت خاصة من حيث الإنفاق عليها والدعوة إليها ، وكانت الأفراح هي الفرص المتلاحقة التي كان يدعى فيها المغنون إلى الغناء ، وكان صاحب « الفرح » هو الذي يختار المغني الذي يدعوه ، وكان يرهق نفسه في إكرامه إرهاقاً كانت تستلزمه روح التفاخر التي كانت شائعة في ذلك

في غير وجودها سمات الأبوة الرصينة .

والسيدات العراقيات على ما خبرت من أحوالهن ، أمهات صالحات بارات متحيات ، وسيدة البلاد الأولى ... أم فيصل الثاني ... تبزهن جميعاً في يقظة الانتباه ، وصدق النظرة ، وقوة الطموح

نرجو للعراق وأهل العراق السلامة من كل مكروه ، وأن يسلم رجاله العاملون ، بفناء الخصومات، واندثار الشرور التي تعكر صفو النفوس وتهد أركان الوطن المفدى .

رحم الله سيد البلاد الراحل وعزى أهله وشعبه أجمل العزاء .

زكي مبارك

الحين بين المصريين أغنياء وفقراء ، وكان يبذل له العطاء كما كان يتأنق فى إعداد المائدة له ولأفراد فرقته ؛ فكان يطعمهم طعاماً شهياً خفيفاً حتى يكتفوا ، وكان يسقيهم خمراً سائغة مشعشعة حتى ينتشوا ؛ وكان يصبر عليهم لا يطالبهم بعزف ولا غناء حتى يستخفهم الطرب، فيعمد منهم صاحب القانون إلى قانونه، وصاحب العود إلى عوده، وصاحب الدف إلى دفه؛ والمغنى لا تزال روحه تترنح من الشرب والطرب والبهجة والفرح حتى يطيب له أن ينطلق فينطلق

وكان المغنى يصيح وهو يعلم أن بين مستمعيه مغنين ومطربين خفوا إليه ليمتعوا أنفسهم بحلاوة ترتيله وبهاء نشوته . والذين حضروا أمثال هذه الحفلات يروون لنا أن محمد عثمان كان يجرى وراء عبده الحامولى ليسمعه ، وأن عبده الحامولى كان يلاحق محمد عثمان ليسترد منه الدين متعة وطرباً ، وهم يقولون أيضاً إن محمد عثمان كان يسمع من الحامولى الدور فلا يتحرج من الاستيلاء على نظمه وكلامه فيلحنه تلحيناً جديداً ويغنيه غناء يجبر الحامولى على أن يترك له الدور مسلماً فيه أمره لله ولصناعة محمد عثمان المنظمة المنسقة

وقد كان محمد عثمان يختلف عن الحامولى اختلافاً بيناً . فقد كان الحامولى أقرب إلى الطبيعة من صاحبه ، فكان أكثر غنائه ارتجالاً لا يعده ولا يهيئه ، وكان صوته الممتاز الحلو النقى ، ونفسه الطويل المشبع ، وروحه الصافية المرفرفة ... كان هذا كله يمكنه من السيطرة على نفوس سامعيه والتحكم فيها والخروج بها من حال إلى حال بما لم يتح بعده إلا لسيد درويش الذى أغناه صدقه وعوضته قوة روحه عن حلاوة الصوت وعذوبته

أما محمد عثمان فكان يربط ألحانه قبل إنشادها، وكان لا ينطلق ولا يتحرر مما ربطه إلا فى فترات من ليلته ثم يعود بعد ذلك إلى ما ربطه وقيده . وانقسم المغنون والمطربون فى ذلك الحين إلى مدرستين : مدرسة الارتجال التى كان يتزعمها عبده الحامولى وكان من أساطينها محمد سالم العجوز ؛ ومدرسة الربط التى كان يتزعمها محمد عثمان وكان من أساطينها يوسف المنيلاوى ثم سيد الصفطى . على أن الربط فى ذلك الحين لم يكن مقيداً مكتوفاً كل الكتف وإنما كان – كما تقدم – يفسح للمغنى مجال التصرف والتخليق ، متى أتيح له التصرف والتخليق

والذى نريد أن نصل إليه من تقرير هذه الحقائق كلها هو أن مجالات الطرب فى الجيل الماضى كانت تعنى بتهيئة جو الغناء للطرب ، فكانت تملقه بالأجر المغرى ، وتترفق إليه بالكأس والطاس ، وتحفزه بالتشجيع من جانب المستمعين ، والتحدى من جانب المطربين ، وهذا كله كان يلهب المغنى إلهاباً ويشعل روحه إشعالاً وينقل روحه إلى حال من حالين : فإما نشوة ورضى، وإما ركوداً وغماً . فإذا ما أصابه التوفيق بالنشوة والرضى فقد غنت روحه ورقصت ؛ وإذا ما ركد وتخاذل فإنه كثيراً ما كان يتنزر عن الغناء ويتهرب منه . ولا يزال هواة الطرب من المخضرمين يذكرون لنا أن عبده الحامولى كان يفسح فى تخته مجالاً لمحمد عثمان ويدعوه إلى الغناء فى بعض لياليه ، كما أنهم يذكرون لنا أن عبدالحى حلمى كان يضرب الغلاظ من مستمعيه أحياناً بطربوشه ويبكى ويصر على إبعادهم عنه وإلا يروغ من « الفرح »

هذا يدل دلالة قاطعة على أن المغنين فى الجيل الماضى كانوا يغنون لأنفسهم كما كانوا يغنون للناس، أو إنهم فى الحق كانوا يغنون لأنفسهم فى مناسبات يهيئها لهم الناس ويدعونهم إليها

ولعله لم يبق فى هذا الجيل الذى نعيش فيه من أهل هذا المزاج إلا فئة المقرئين فهم وحدهم الذين يرتجلون الترتيل ، وهم وحدهم الذين « يتفاعلون » مع جمهورهم أثناء إنشادهم وقراءاتهم. أما المغنون فكلهم كما نعلم يسترجعون فى حفلاتهم ما علمهم إياه الملحنون ، وأما الملحنون فكلهم يعدون ألحانهم إعداداً تاماً قبل غنائها أمام الجمهور إذا ما دعوا للغناء أمامه. وليس يشذ عن هذه القاعدة من ملحنى اليوم إلا زكريا أحمد ومحمود صبح . فهما وحدهما اللذان ينطلقان فى الغناء بما توحيه إليهما نفساهما . أما زكريا فتنساب نفسه فى غنائه بأسلوب مصرى رقيق ، وأما محمود صبح فتجمح روحه فى غنائه بأسلوب تركى متعجرف مكنته منه دراسته التى صرفته عن طبيعته المصرية فأصبح وله لون خاص به فى غنائه ، ليته كان مصرياً قريباً من نفسه ونفوسنا

ونعود الآن إلى غناء الماضى لنلحظ فيه ملحوظة تعزز ما ذهبنا إليه ، ذلك أنه كان غناء شراب وفرح وبهجة؛ وقد نجهد أنفسنا فى البحث إجهاداً كبيراً إذا حاولنا أن نعثر فيه على شىء غير الشراب والفرح والبهجة التى كانت تبعثها مناسبات الغناء فى نفوس المغنين . وقد كان المغنون فى الجيل الماضى يعيشون فى أفراح متواصلة متتابعة ولعل القارئ يعجب حين يعلم أن موسراً من الموسرين أراد أن يحيى له ليلة فرحه المطرب الشيخ سيد الصفطى؛ فلما قابله أخبره الشيخ الصفطى بأنه مقيد بتسعين ليلة

مقبلة لا يمكنه أن يتحلل من إحداها، فاضطر الوصر أن يؤجل فرحه ثلاثة شهور متتالية. فإذا كان هذا هو حال الشيخ المصطفى الذى لم يكن ملحناً ولم يكن أستاذاً لمدرسة فى الغناء فكيف كانت حال عبده الحامولى، ومحمد عثمان؟ إنهما لم يكونا يملكان إلا أن يعيشا فى أفراح بعد أفراح. ولقد نضحت أغانيهما بهذه الأفراح حتى ما كان منها يجنح نظمه إلى الشكوى والألم، فقد كانا يغنيان فى فرح وفى مرح تستفيهما الناسبة وإن كان الفن والمعنى يزوّران عنهما

ولكن هذا ليس معناه أنهما كانا يغنيان على وتيرة واحدة هى نمط البهجة، وإنما كانت روحاهما تتفقنان أحياناً بالأنين والألم. وقد سجل التاريخ لعبده الحامولى وقفة خالدة من وقفات الفن الرائعة إذ جاءه نعى وحيده فى ليلة زفافه وكان عبده هو الذى يحييها بغنائه، فغنى عبده ليلتئذ غناء أسال قلوب سامعيه دموعاً، وعصر نفوسهم دماً، وطبع أرواحهم بطابع أسود خدرهم وهم فى مقاعدهم ولم يخطر ببال أحدهم أن يسائل عن سره أو منشئه، حتى إذا طلعت الشمس شاع بينهم الخبر فلزموا مجالسهم حتى جهزت الجنازة فخرجوا بها مشيعين العروس الذى خفوا ليشاطروه الفرح

هذه هى حال الغناء فى الجيل الماضى، وهذه هى حال إمامه عبده الحامولى، وهى كما ترى أقرب الأحوال إلى الغناء الطبيعى الذى يصدر عن النفس الصادقة فى لون صادق من ألوان العواطف هو الفرح. فإذا قلنا إن الغناء يكاد ينقرض فإنما نقصد بذلك هذا اللون الطبيعى أو الأقرب من الطبيعة.

فكيف إذن يمكن أن يُحيا غناء كهذا، أو كيف يمكن أن نحيى بنوع من الغناء ذكرى مغن كعبده الحامولى؟

خطر لحزمة الرؤوس المفكرة التى اجتمعت فى وزارة المعارف أن يغنى مغن فى حفلة الذكرى شيئاً من أغانى عبده الحامولى! فأشبه هذا الخاطر خاطر النبذاً من رأس صاحب لنا كان صوته يشبه صوت سعد زغلول، فرأى أن يلقى إحدى خطب سعد زغلول فى حفلة من حفلات ذكراه، ولم يمنعه من تنفيذ فكرته هذه إلا أنه عجز عن الاتصال بأصحاب الأمر والنهى فى هذه الحفلات. ولعله لو كان قد وصل إلى أصحاب الأمر والنهى هؤلاء لكان قد استطاع أن يقدم للمحتفلين بذكرى الخطيب العظيم الراحل هذه «النمرة الكوميك». فيدخل على نفوسهم شيئاً من الراحة قد يشعرون بالحاجة إليه خلال ذلك الألم الذى ينتاب نفوسهم حين يذكرون الفقيد.

فهل تريد وزارة المعارف أن تكون لذيذة كصاحبنا هذا حين تريد أن تكرم رجلاً من أساطين الفنانين المصريين؟

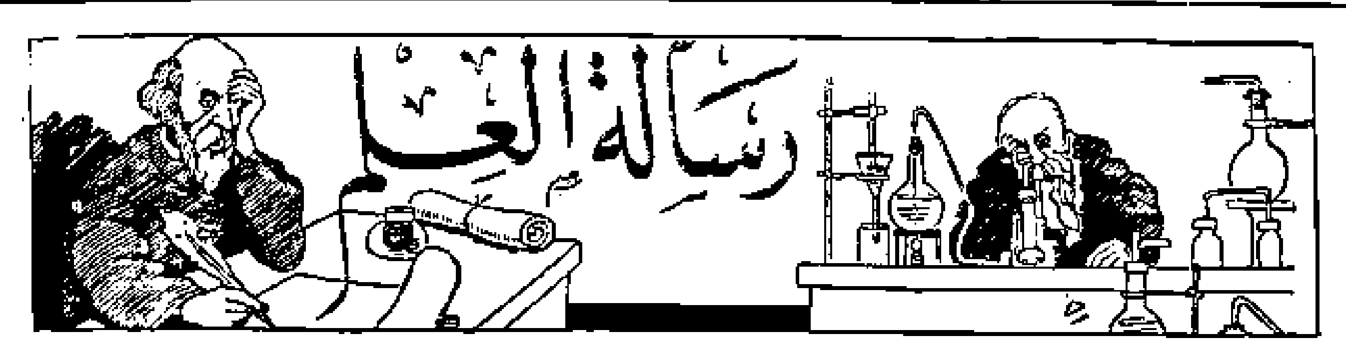
إن عبده الحامولى لا يمكن أن يستعاد ولا يمكن أن يسترجع، وليس كل عظيم يستطاع أن يكرم ذكره بتكريم من نوع موهبته وفنه. فالأمريكان إذا أحبوا أن يذكروا إديسون فى حفلة فإنهم لا يستطيعون أن يعرضوا فى هذه الحفلة مخترعاً يخترع أمام الجمهور اختراعات إديسون!

إنما هناك وسائل أخرى لتكريم أمثال هؤلاء الذين تتصل كرامتهم بأشخاصهم وذواتهم، فلأمثال هؤلاء يمكن أن تقام التماثيل، وبأسماء هؤلاء يمكن أن تتوج المسارح القومية ومعاهد الفنون. وأما ترجيع فنهم نفسه فمحال إلا إذا كان الفن مربوطاً مقيداً مثل فن سيد درويش فهو الذى تستطيع وزارة المعارف أن تحمل الفرقة القومية على تمثيل رواياته الخالدة

أما إذا أصرت وزارة المعارف على أن تحيى ذكرى عبده الحامولى بغناء وألحان من المحفوظ عنه فإننا نرجوها أن تتريث كل التريث قبل أن تختار المغنين الذين ستعهد إليهم بإحياء هذه الذكرى الجليلة، وعليها أن تعرف أن عبده الحامولى كان مغنياً صاحب صوت قوى جميل كامل لا يمكن أن يجود الزمن بمثله إلا بين دهر ودهر، وأنه كان يسلط روحه الصافية على صوته هذا وحده فيتسلط به على سمع الزمن، فهل بين المطربين المصريين اليوم من أتيحت له هذه القوة؟.

قد يكون الشيخ على محمود وحده أشبه الأحياء به... فلو أنه راجع مع المخضرمين من المطربين أغانى الحامولى فقد يتاح له أن يوفق إلى صورة من الغناء هى أقرب الصور إلى غناء الفقيد الكريم. أما أصدق الصور وأشدها أمانة فهى لا ريب هذه الصور التى طبعها الفقيد بصوته على «الاسطوانات» القليلة التى عباها، فأين هى؟..

عزيز أحمد فهمى



فـــــروض

للدكتور محمد محمود غالى

تخترقنا جسيمات الأشعة الكونية أو الأشعة النافذة كما يسمونها، أحياء كنا أم أمواتاً، شباباً كنا أم شيوخاً، تنفذ فينا جميعاً بقدر واحد. ترى هل يعد هذا التفتت الدائم في أجسامنا الذى يلازمنا من المولد حتى الممات ملائماً لوجودنا ومساعداً على بقائنا؟ أو هو على النقيض من ذلك. أميل إلى الاعتقاد بأنها مبيدة لنا مهلكة لحياتنا. ومتى كان الهدم من عوامل البقاء، والتفتت مدعاة للحياة لا للفناء؟

إلى المتحف المصرى وإلى الطابق الثالث منه نقلوا حديثاً من المنزل الذى أقام فيه مسيو لاكو المدير السابق لمصلحة الآثار، عشرين مومياء لفراعنة مصر الأقدمين، يمثلون ثلاثين قرناً أو يزيد من أزهى العصور في تاريخ البشر. ويكفى لتعريف هذه الفترة السعيدة التى خلت أن نذكر، أنها الفترة التى كوّن الإنسان فيها معارفه الأولى وعلومه البدائية التى كانت سبباً وأساساً لمعظم ما نملكه اليوم من معارف وعلوم. فالحلقة متصلة إذ كان لهؤلاء الملوك الأولين والمؤتمرين بأوامرهم والآخذين بنظمهم الفضل الأول في كثير مما نعرفه اليوم.

هذه المومياء الهامدة ظلت مستريحة قروناً عديدة، لا يحميها ما حولها من لفافات عديدة، أو ما يحيط بها من صناديق محلاة بالذهب والنقوش، من التهدم الذرى والتفتت الداخلى الحادثين حتماً من اختراق جسيمات الأشعة الكونية لها، بقدر ما تحميها طبقات الرمال والصخور التى تعلو الأماكن التى وجدت فيها، فإن هذه الطبقات المفصولة عن سطح الأرض بعشرات الأمتار تمتص هذه الأشعة أو الجزء الأكبر منها

قليل من التأمل وعودة إلى الحساب البسيط يجعلنا ندرك العدد الكبير من هذه الجسيمات التى تخترق هذه المومياء التى لا يحميها الآن من هذا التهدم سوى سقوف المتحف المصرى، فهذه القذائف الكونية الدائمة تخترق المومياء الخالدة بمعدل قذيفة على كل سنتيمتر مربع في كل دقيقة، أى أن خمسة آلاف من هذه القذائف الفاتكة تخترق في كل دقيقة كل واحدة من المومياء المعدودة؛ بينما كان لا يخترقها في مثل هذه الفترة وهى في وضعها الأول، مصونة بالرمال والصخور، سوى قذيفتين أو ثلاث؛ وقد لا يخترقها واحدة من هذه القذائف. وفي ظنى أن الذين قاموا بنقلها من مكامنها الأولى وأزعجوها من راحتها الأبدية، لم يعيروا هذه القذائف الدائمة أية التفاتة، فهم لا يعرفونها. ومن يدرى؟ فقد تكون هذه القذائف مدمرة لها على طول الزمن ومتلفة لعناصر وجودها. أو يصح لنا إذن أن نعتقد أنه كان لخوفو منشئ الهرم الأكبر نوع من الغريزة جعلته يشعر بضرورة بناء ضريح في ضخامة الهرم لحماية رفاته من كل عوامل التبديد؟

* * *

لا شك أن خوفو وأمثاله كانوا يجهلون الأشعة الكونية؛ وكأنهم عمدوا إلى الاحتياط من تلك الأشعة التى تلخص في هذا المقال موضوعها، والتى تعد من أعجب ما نعرفه في مراحل العلم الحديث بقوة طاقتها التى تفوق آلاف المرات طاقة أشعة الراديوم وقوة اختراقها للأشياء، فتخترق ما يبلغ سمكه بضعة أمتار من الرصاص. وقد شرحنا كيف يستطيع العلماء تسجيل صور مسارات جسيماتها بعد اختراقها كتلة كبيرة من المادة، وشرحنا كيف يسمون إنذاراً بمرور قذائفها التى لها أقوى الأثر على المادة التى تخترقها

ونتكلم اليوم من الفكرة في مصدر أو أصل هذه الأشعة الخارقة لما امتدادها من إشعاع . ويحسُن قبل ذلك أن نذكر كلمة أخيرة من بعض النتائج الهامة في دراسة هذه الأشعة. وهذه النتائج هي مادة لموضوعات مختلفة نكتفي هنا بالإيماء إليها :

الموضوع الأول هو تقسيم العلماء هذه الأشعة إلى نوعين :

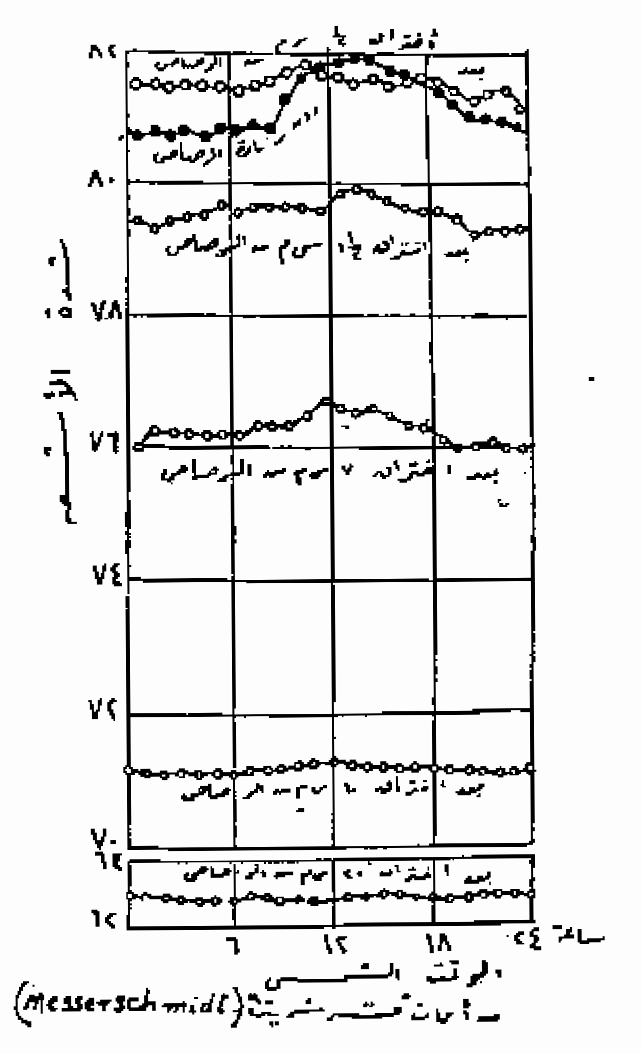
النوع الأول جسيات رخوة Corpuscules du groupe mou وهذه نتجت عن الأشعة الكونية وليست هي الأشعة ذاتها .

والنوع الثاني جسيات صلبة Corpuscules du groupe dur وهي جزء من الأشعة الكونية نفسها قبل اختراقها طبقات الهواء أو الأرض

وهذا التقسيم إنما جرى تبعاً لمقدار المادة التي تستطيع الأشعة النفاذ فيها. وللعالم روسى[1] تجارب تدعو للإعجاب في وضع ستائر من الرصاص يعرف بواسطتها أولاً اتجاه الأشعة، وثانياً درجة نفاذها في المادة التي تصادفها وأثرها عليها . وفي ذلك يستعمل روسى عدادات الألكترونات وغرفة ولسون مجتمعة في تجربة واحدة .

الموضوع الثاني هو دراسة تغير هذه الأشعة تبعاً لخطوط العرض؛ ولهذا أثر هام في معرفة ما إذا كان منشأ الأشعة خارجاً من نطاق المحيط الأرضي . وقد أدت هذه الدراسة إلى أن هذه الأشعة تنقص بمقدار حوالي ١٤ ٪ عند ما تقترب من خط الاستواء . وهذا ناتج من أثر المجال المناطيسي الأرضي واختلاف شدته من منطقة إلى أخرى . وقد تبيّن ذلك كلامى في أبحاثه التي تمّتها دراسة دولية تولاها العالم كومبتون في سنة ١٩٣٠ إذ قامت ٦٩ محطة مختلفة في المعمورة بدراسة الأشعة. وهذه المحطات منتشرة بين خطي عرض ٧٨ شمالاً و ٤٦ جنوباً . وفي سبتمبر سنة ١٩٣٣ قام زميلانا بيير أوجيه M. P. auger ولبرانس رينجيه Leprince Ringuet بأبحاث هامة[2] بين الهافر وبونس إيرس ذهاباً وإياباً حيث سجلا ١٧٠ ألف مسار للأشعة الكونية. وفي الـ ١٧٠ ألف شعاع التي سجلها هذان الباحثان نرى أن الأشعة الكونية تنقص بمقدار ١٩ ٪ عند خط الاستواء

الموضوع الثالث دراسة تغيُّر شدة الأشعة تبعاً لنظام تعاقب الليل والنهار أي مع الوقت الشمسي . ولهذا أثره في معرفة ما إذا كانت الشمس مصدراً لهذه الأشعة. وقد دلت هذه الدراسة على أن الأشعة لا تتغير مع تغير الليل والنهار . وفي هذا الشكل نرى كيف تتغير شدة الأشعة مع ساعات اليوم



(Messerschmidt)

فالإحداثي الرأسي ويُسمى محور الصادات يبين مقدار شدة الأشعة ، والإحداثي الأفقي ويسمى محور السينات يبين الوقت . وفي المنحنى (١) نرى كيف تتغيَّر شدة الأشعة مع مرور اليوم دون أن تخترق الأشعة مادة على الإطلاق

وفي المنحنى (٢) نرى تغيُّر شدة الأشعة بعد أن تكون قد اخترقت ½ س م من الرصاص. وفي الحالتين نرى حوالي الساعة ١٢ ازدياداً طفيفاً في الأشعة ، وهذه الزيادة نرى أثرها مرة أخرى في المنحنيين (٣) و (٤) اللذين يمثلان تغيُّر الأشعة بعد اختراقها ٥ر١ س م من الرصاص و ٣ س م منه . أما المنحنيان (٥) و (٦)

(١) روسى أستاذ بجامعة بادو وقد طبع كتاباً عن الأشعة الكونية باللغة الفرنسية . الطابع هيرمان باريز سنة ١٩٣٥

(٢) هذه الأبحاث منشورة في محاضر المجمع العلمي الفرنسي بتاريخ ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٣ ص ١٢٤٢

فيمثلان شدة الأشعة وتغيرها مع الزمن بعد اختراق ١٠ س م من الرصاص و ٢٠ س م منه ، ولا نرى فيهما أثراً لأى تغيُّر فى شدة الأشعة بل نرى ثباتها على مرور الساعات ، وهذا يثبت أن الجزء الصلب من الأشعة الكونية أى الأشعة الكونية الأولى قبل اختراقها الجو غير مرتبط بالشمس بأى حال من الأحوال

والموضوع الرابع هو دراسة الأشعة مع المجال المناطيسى الأرضى ، وهو دراسة رياضية وطبيعية عويصة قام بها علماء كثيرون نذكر منهم ستورمر Stormer، ونرى ألا نتعرض له فى هذه السطور لصعوبته وعدم فائدته للقارئ

على أن استعراض هذه المسائل ولو على هذا النحو المختصر يفيدنا الآن فى مناقشة أصل الأشعة الكونية وسرد كل الفروض التى يعتقدها العلماء فى مصدرها

* * *

فى نشرات العالم الكبير س . ت . ر . ولسون[(١)] (C. T. R. Wilson) بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٩ يفرض أن يكون منشأ الأشعة النافذة هو المجال الكهربائى الحادث من العواصف الجوية (Orages) ، وقد بين أن الالكترونات تقذف فى هذا المجال بقدر مجموع الطاقة الحادثة من فرق الضغط الكهربائى بين الغيوم المشبعة بالكهرباء، وتبلغ هذه الطاقة آلاف الملايين من الفولتات. على أن اختراق بعض جسيمات الأشعة الكونية أعماقاً من الماء تزيد فى بعض الأحيان عن الـ ٥٠٠ متر يتطلب طاقة أكبر بكثير من الطاقة المذكورة . ومن السهل أن نرى أيضاً أنه لا يمكن بإتباع الرأى المتقدم أن نفسر التغير الحادث فى شدة الأشعة مع خطوط العرض وهو التغير الذى سبق أن شرحناه . وعلى وفق آراء ولسون تقذف الالكترونات فى العواصف لأعلى السحب المحملة بالكهرباء ثم تنحنى مساراتها بوجود المجال المناطيسى الأرضى حتى تصل إلى سطح الأرض . ومع ملاحظة أن نصف قطر الانحناء لألكترون له هذه الطاقة المتقدمة لا يتجاوز

(١) س. ت. ر. ولسون مجموعة جمعية كمبردج الفلسفية ٢٢ س ٥٣٤ (١٩٢٤) ومجموعة الجمعية الطبيعية لندرة ٣٧ س ٣٢ (١٩٢٥) وجريدة معهد فرانكلين ٢٠٨ س ١٠ (١٩٢٥)

ملحوظة : اتبعنا فى كتابة المراجع الطريقة الأفرنجية وتتلخص فى ذكر اسم المرجع فنمرة المجلد أو الجزء ثم الصحيفة ثم السنة وهى طريقة مختصرة، حبذا لو اتبعها كتاب العربية

٧٠٠ كيلو متر وملاحظة أن هذا جزء يسير بالنسبة إلى نصف قطر الأرض، فإنه من السهل أن ندرك أنه لا يمكن لهذه الالكترونات أن تكون موزعة بالتساوى حول سطح الكرة الأرضية ، وحيث أن توزيع العواصف نفسها ليس توزيعاً متساوياً فوق سطح الأرض فإنه من الصعب تعليل ثبات الجزء الرئيسى من الأشعة الكونية ثباتاً لا يزيد التغير فيه عن $\frac{1}{1000}$

وما يقال عن الالكترونات الحادثة عن العواصف يقال عن الالكترونات الحادثة عن السحب العادية . فهذه وإن كانت أكثر انتظاماً فى توزيعها حول الأرض إلا أن الطاقة الحادثة عنها لا يمكن أن تسبب الطاقة العظيمة الموجودة فى الكترونات الأشعة الكونية . كل هذا لا يمنع أن السحب المصحوبة بعواصف شديدة يمكن أن تكون سبباً من الجزء الرخو فى الأشعة الكونية ، وقد بين ذلك شونلاند وفيلجوان[(١)] Schonland et Viljoen

على أن من الصعب جداً أن نتخيل علة أرضية أخرى تكون منشأ الأشعة الكونية. فمثلاً يستحيل مهما كانت الحالة الكهربائية للطبقات العليا من الجو أن نتصور مجالاً كهربائياً عمودياً على الأرض يكون عظيما بحيث يكون مستمراً وتكون له مثل هذه الطاقة

ولو أننا واقتنعنا على أن يكون منشأ الأشعة الكونية خارجاً عن نطاق الكرة الأرضية فإن ثبات شدتها المتناهى ثباتاً فى الزمن يضطرنا إلى أن نفترض أن لها الخواص ذاتها فى الحيز الكونى للكون فى مجموعه

فالشمس لا يمكن إذن أن تكون مصدراً لهذه الأشعة . كذلك النجوم المكونة للمجرة ، لأن هذه النجوم غير موزعة توزيعاً منتظما حول الأرض . فلو كانت الشمس مصدرها لاختلفت شدتها مع الوقت الشمسى . ولو كانت المجرة منشأها لاختلفت شدتها مع الوقت النجمى . وهذا الاختلاف أو ذاك لا وجود له بالمرة ، وبخاصة فى الجسيمات الصلبة أو القوية من هذه الأشعة

وما يُقال عن المجرة يُقال عن العوالم الأخرى التى ليست موزعة توزيعاً منتظما حول الكون الفلق

على أنه لا يمكن أن يكون مصدر الأشعة المكونات الداخلية للنجوم ، لأن طاقة الأشعة فى هذه الحالة تصبح ضعيفة لاختراقها كل مادة النجم

(١) محاضر الجمعية الملكية الانجليزية ١٤٠ س ٣١٤ (١٩٣٣)

ومهما يكن من الأمر فإن مصدر الأشعة الكونية يجب أن يسمح كما قدمنا بتفسير خواص إشعاع طبيعته وقوته واحدة في جميع الجهات حول الأرض. وقد وضع رجنيه Regner [1] فرضاً يجيز تولد هذه الأشعة في وقت ابتداء تطور العالم، بحيث أصبحت خواصها الطبيعية مع مرور الزمن واحــدة في جميع الاتجاهات Isotrope، وذلك بسبب رحلتها المستمرة داخل الكون المغلق

وقد وضّح ليتر [2] Lemaitre هذه النظرية الأركيولوجية بفكرته في أن الكون في مجموعه لا يكون سوى ذرة كبيرة جداً تشع هذا الإشعاع على طريقة هي فوق طريقة النشاط الراديومي Super-radioactif

أما عند مليكان [3] فإنه يغلب على ظنه أن بعض الحوادث الطبيعية الحادثة باستمرار في المواد الواقعة بين الأجرام السماوية ربما تعطى هذه الدرجة من إشعاع له نفس الخواص حول الأرض

أما فرض انعدام المادة (Annihilation) فهو لا يكفي أيضاً لتفسير إشعاع له مثل هذه الطاقة. ومن المعروف أن الطاقة الحادثة عن انعدام كتلة البروتون تساوى حوالى الألف مليون ألكترون فولت، وهي طاقة أقل من التي تعهدها في الأشعة الكونية

كذلك ليس من المحتمل أن يكون سبب الأشعة تحول نواة معقدة وثقيلة بانعدامها وانتقال طاقتها إلى الألكترونات أو الفوتونات، كما أنه ليس من المحتمل أن يكون السبب في الطاقة الحادثة من تكوين نواة معقدة من ذرات أبسط منها، فإن مثل هذه الطاقة تقل أيضاً عما نعهده في الأشعة الكونية

ويتساءل أدنجتون لماذا لا تكون هذه الأشعة بقايا تهدم حدث قديماً في السماء وشاءت الأقدار أن تصلنا أخبار هذا التهدم الآن

ويمكن القول أن كل الفروض التي تقدم بها الباحثون حتى الآن لتفسير منشأ وسبب الأشعة الكونية غير ممكنة في ناحية وإن جاز إمكانها في ناحية أخرى

على أن نظرية العواصف هي النظرية الوحيدة التي ترجع الأشعة الكونية لسبب مصدره الكرة الأرضية، فإذا لم يمكن الدفاع عن هذه النظرية، وهو الأمر الواقع، فإن مسألة أصل الإشعاع الكوني ترتبط رأساً بنشأة الكون

وقد بين ليتر أن الطاقة الكلية للأشعة الكونية مع فرض توزيعها توزيعاً منتظماً في الحيز تبلغ $\frac{1}{100}$ من مجموع الطاقة الكلية ما في الكون من نجوم وأجرام ومادة بينها.

وعلى كل حال فدراسة منشأ ومصدر هذه الأشعة يبدو حتى يومنا هــذا خفياً على الأذهان، وإذا اتضح كما تظهر التجارب الحديثة أن نصف الجسيمات أو أغلبها الكونة لهذه الأشعة العجيبة هي « بوزيتونات »، فإن من المحتمل جداً أن البوزيتون النادر على الأرض هو مكون هام للكون خارجاً عنها.

ومهما يكن من أصل الأشعة الكونية، فإنه عندما نعلم ذلك نكون قد خطونا خطوة كبرى في المعرفة وفي حل موضوع يتصل بمنشأ الكون وسر الخليقة وعظمة التطور.

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم للهندسة اللاسلكية

(١) نشرات الجمعية الملكية الانجليزية ١٣٢ ص ٣٣٩ (١٩٣١)
(٢) مجلة الطبيعة (Nature) ١٢٨ ص ٧٠٤ (١٩٣١)
(٣) المجلة الطبيعية (Phys. Rev.) ٣٦ ص ١٠٩٥ (١٩٣٠)



كفاح الدكتاتورين لأجل المعادن – عن ذى سينتفك ريكر

تقاس قوة الأمم فى هذه الأيام بمقدار ما لديها من الصناعات؛ فالصناعة هى أساس المدنية الحديثة ، تستطيع الأمة بها أن تتوفر على المصادر الأساسية التى يتوقف عليها كيانها وهى إحراز الثروة المالية ، والمحافظة على الحدود ، وزيادة السلاح ... والصناعة هى السند الوحيد الذى يمكن أن يعول عليه لتحمل أعباء الإدارة الحديثة ، وإحراز المال الوفير لتدبير شئونها . ومما لا شك فيه أن الأمم التى لها شهرة فى عالم الصناعة تحرص دائماً على الاحتفاظ بكيانها الصناعى ، ولا يتيسر ذلك إلا بوجود الخامات الجيدة التى تتوقف عليها الصناعات

فإذا أتيح لنا أن نفحص الآلة الميكانيكية لإحدى الطائرات وجدناها تتركب من معادن كثيرة قد لا تقل أنواعها المختلفة عن عشرين نوعاً . ولا يمكن أن يضحى بمادة واحدة من المواد التى تتركب منها دون أن نضحى بشىء من قيمتها

قد يقال عن تغيير الخامات واستبدال مواد صناعية بها ، ولكن هذا إذا صح فإلى حد محدود ، إذ أن الخامات المعدنية لها قوى وخصائص لا تغنى إحداها عن الأخرى كل الغناء

وتستخرج المعادن من المناجم الخاصة بها ، فإذا أعوز وجودها لا يمكن الحصول على ما يقوم مقامها فى الصناعة . فإذا لم توفق الدولة إلى الحصول على معدن لصناعة من الصناعات ، فإن الخسارة لا تقف عند ضياع هذه الصناعة فيها ، ولكنها تقع على نظام المملكة على وجه العموم

فالأمم التى تريد التوسع والنفوذ ، يجب أن تستحوذ على أكبر مقدار من الخامات لصناعاتها . فإذا كان الأمر كذلك ، تبينت لنا تلك الصلة التى تربط بين النشاط السياسى والحصول على الخامات

فإذا دققنا النظر فى مركز إيطاليا مثلاً ، وجدنا أن هذه الأمة لا تملك مورداً واحداً لنوع من المواد المعدنية . وليس فى مقدور موسولينى أن يخلق من إيطاليا أمة قوية إذا اتكل على الزراعة وحدها ، فهو يلجأ إلى استصدار الفحم والزيت والحديد والنيكل والمنسيوم والصفيح وهى المواد الأولية للصناعات ، من بلاد غير بلاده

ولم تكن بلاد الحبشة قد عرفت جيولجيا قبل الفتح الإيطالى ، ولكن قد تبين أخيراً أن هذه البلاد تحتوى على أكبر مناجم للبلاتين والذهب والفضة والنحاس والحديد والبوتاس والرصاص والفحم والزيت (وهو أهم ما تصبو إليه إيطاليا) وهذه مواد ذات قيمة لا تقدر، وهى ولا شك تستحق ما بذل لأجلها من المشقات. فلا يصح أن يقال إن التوسع الإيطالى فى تلك البلاد كان يقتضيه ازدياد عدد السكان فى إيطاليا مع ما هو معروف من رداءة الجو فى تلك البلاد ، وعدم ملاءمته للإيطاليين بحال من الأحوال

أما ألمانيا فهى تحصل على ما يكفيها من الفحم ، إلا أن ضياع الألزاس واللورين جعلها تتكل على بلاد أخرى فى الحصول على الحديد والذهب . وقد استورد منها فى العام الماضى ٢٠ مليون طن . ولا شك أن ألمانيا يهمها أن تطمئن على توريد هذه المواد إبان الحرب ، ولا يمكن ذلك إلا إذا وضعت البلاد التى توردها تحت إشرافها (يقصد تشيكوسلوفاكيا)

أما اسبانيا فماذا تقدم للأمم التى تهتم بها سياسياً ؟ مما لا شك فيه أن الثروة المعدنية لتلك البلاد لا يستهان بها ، فهى تحتوى على موارد عظيمة للحديد الممتاز والصلب والنحاس وغيرها من المعادن التى تستوردها ألمانيا من الخارج . . .

وهكذا حيثما وجهنا النظر وجدنا المواد الصناعية هى المحرك لتلك الأمم والحافز لها على التطاحن والحرب

الحب والخوف – عن مجلة « موند أولندريه »

لكى نتخلص من مخاوفنا فى الحياة ، يجب علينا أن نكون على وفاق معها . قال أحد الحكماء : « إن الحب الخالص يزيل الخوف ، إذ أن الخوف يناقض الحب . ولا يوجد قول أصدق من هذا القول » . نحن حين نكون على وفاق مع الحياة، معارفها وتجاربها وكل خليقة فيها فلا شىء نخافه . إذ أننا فى هذه الحالة نعيش مع كون صديق . . . وكما يقول ادوارد كاربنتر فى شعره

المتنور : تسرع كل القوى العلوية إلى تحقيق مسراتنا الأبدية .

فإذا دب الحب إلى قلب الإنسان ، واتصلت وشائجه بشأن من الشئون ، أصبح هذا الشأن قريباً من نفسه كل القرب ، فهو لا يخيفه ولكنه يسره ويؤدى به إلى السعادة .

ليس من العسير أن نوثق عرى الألفة مع الكون حتى ترتبط نفوسنا بكل ذرة فيه . وعند ذلك نرى أن كل شيء يعمل لأجلنا — بدل أن يعمل ضدنا — ويبحث عن سرور دائم يشملنا فلا نخاف شيئاً تبتلينا به الحياة ، لأننا نعلم أن الحياة التي توالينا ستوصلنا إلى ما نريد ، وتقودنا إلى سعادة أكبر مما كنا نظن .

إن كل شيء يعمل لسعادة هؤلاء الذين يعملون مع الله ! يجب أن نكون أصدقاء الكون، أصدقاء للحياة وتجاريبها، أصدقاء لكل خير ، أصدقاء لكل نظام واتساق لنكون في وحدة تامة مع الحياة

إن الحياة لحن عظيم يوقعه الحب ، فلو عرفنا أن نؤدى دورنا في هذا اللحن ، وسرنا على توقيع نغماته الصحيحة ، كانت حياتنا جزءاً من لحن الحياة العظيم ، فتفارقنا المخاوف جميعها إذ ماذا عسى أن تعمل بنا الحياة سوى أن تزيد من سعادتنا وتمدنا بالسرور الأبدي؟

إن الانسجام الأبدي والنظام يشملان الكون على الدوام ، فعلينا أن نضع أنفسنا وفق إرادتهما ونسايرهما . فنظام الحياة لا يمكن أن يتبدل ليسرنا بشيء أو يضيرنا به، وليس من الضروري أن يكون كذلك . ولكن الواجب أن نساير نحن الحياة ، عند ذلك نجد أن لا شيء يخيفنا فيها ، لأننا نكون قد دخلنا في وحدة الكون الذي ارتبطنا وإياه بالحب والوئام .

حول مشكلة العاطلين في أمريكا — عن ذي لسنر الإنجليزية

يظن الكثيرون أن أمريكا أمة غنية لا يعرف الفقر إلى أهلها سبيلاً . ويعتقد الكثيرون أن مستوى المعيشة في هذه البلاد يمتاز عن غيره في سائر بلاد العالم ؛ ولكن قل أن يعرف هؤلاء أن في هذه الأمة التي يبلغ عدد سكانها مائة وثلاثين مليوناً من الأنفس، عدداً غير قليل من أبنائها يعانون أشد أنواع الفاقة والفقر

وأستطيع أن أقول إن نسبة هؤلاء البائسين الذين يعيشون في فقر مدقع في بلاد أمريكا أكثر منها في بريطانيا العظمى . إذ أن عدد العمال العاطلين في أمريكا يزيد كثيراً على عددهم في بريطانيا . وإذا كان هؤلاء العمال لا يعرف عددهم بالضبط إلى الآن ، فهم لا يقلون على أي حال عن عشرة ملايين من سكان تلك البلاد . ولا شك أن للنظام الإداري والاجتماعي في أمريكا أثراً كبيراً في هذا البؤس الذي يشمل عدداً غير قليل من الأهلين ، وعلى الأخص نظام المدن والولايات الثماني والأربعين ، فإن هذا النظام المحلي في أمريكا لا يزال على جانب عظيم من الجمود

وقد كان الرئيس روزفلت أول من فكر جدياً في إصلاح هذه الحال . ولا غرابة فهذا الرجل معروف بمشروعاته العظيمة وخططه الناجحة في إصلاح تلك البلاد . وقد انتخب رئيساً للولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ في أشد الأوقات وأحرجها بالنسبة لحالة البلاد التجارية . فقلب وجوه النظر لإصلاح هذه الحال ، وقد كان أهم المشروعات التي وضعها في هذا الصدد ، هو مشروع (مساعدة الضرورة) الذي شمل أنحاء البلاد ، وانتفع به ملايين من العمال العاطلين لمدة سنتين

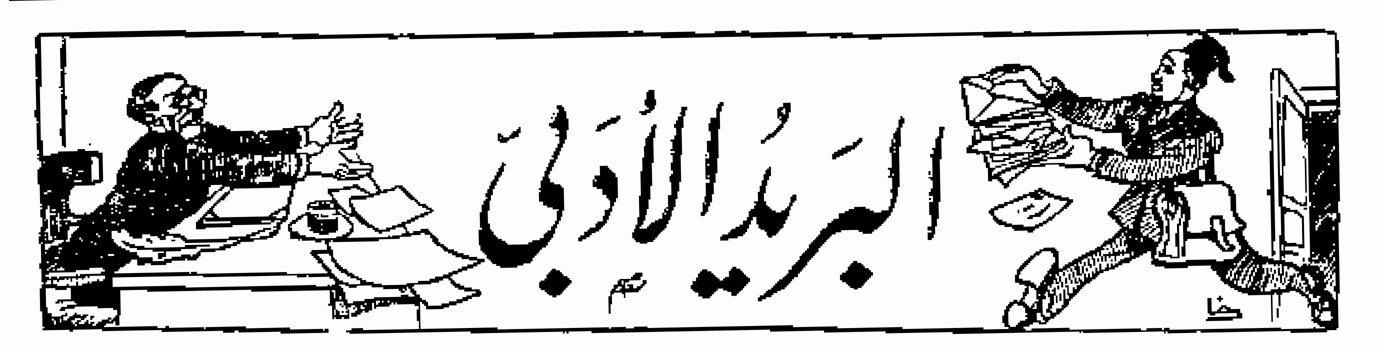
وقد كلف الحكومة هذا المشروع ١٥٠ مليون من الجنيهات ، وهو مبلغ ليس بالكثير لإحياء أمة . ولم يكتف روزفلت بهذه التجربة التي استفاد بها عدد كبير من السكان ، فأوقف قانون الضرورة وأحل محله نظاماً دائماً للعمال العاطلين . وقد بذل في هذا الشأن أعظم مجهود رآه العالم في مثل هذه الأحوال . . . فأعلن أن حكومة الولايات المتحدة لا تتحمل كل هذه الحاجة، ولا تستطيع أن تقوم بأود كل بائس أو مسكين، ولكنها ستأخذ بيد العمال القادرين الذين لا يجدون لهم عملاً ، لا بأمدادهم بالمال ولكن بإيجاد عمل دائم لهم

إن نظام إعانة العمال العاطلين في انجلترا لم يرق روزفلت ، فأعلن أن أمريكا لا توافق على نظام الإعانات المالية بحال من الأحوال ، لاعتقاده أن إعطاء المال بدون عمل مفسدة للأخلاق

وإذا كان لا بد من المعونة فهي تعطى في حالات المرض ، ويعد بها العجائز والأمهات ذوات الأطفال

وقد أبدى روزفلت شجاعة عظيمة في تنفيذ هذا الرأي ، فاستدعى صديقه مستر هارى هوبكن وهو رجل ذكي قضى حياته في ممارسة الأعمال ، وعينه وزيراً وكلفه بإيجاد سلسلة من الأعمال العامة في البلاد ، لتشغيل العمال العاطلين من ألسكا إلى بنما ، ولم يقيده بقيود كثيرة، ولم يشترط عليه شروطاً ثقيلة، ولكنه حتم عليه أن يجعل سائر الأعمال التي يقوم بها هؤلاء العمال نافعة للدولة

وقد قام مستر هوبكن بهذا العمل بكفاية وجدارة وأوجد في الحال أعمالاً دائمة لثلاثة ملايين من العمال العاطلين . ونستطيع أن نؤكد أن هذه الأعمال على جانب كبير من الفائدة للبلاد



١ — « مناوأة الخدر والنعاس » ـ وضع الشيء موضعه

فى العدد السابق من الرسالة ختمت التعليق على محاضرة حافظ عفيفى باشا بهذه الجملة : « أما سئمتم الخدر والنعاس ؟ » . وكان غرضى التعريض بقناعة مَن بأيديهم أمر الثقافة فى هذا البلد بـ « الموظفين المخضرمين » مع إهمالهم الشباب القادرين المستنيرين

وأما « وضع الشيء موضعه » فيدخل تحته كلامى على دار الآثار العربية وعلى استبعاد أهل الكفاية عندنا

وعلى هذا المحورَين سيدور بعض ما أنا كاتب فى هذا الباب من الرسالة ؛ وذلك بعد استئذان صاحبها وهو ممن يقصد وجه الإصلاح . ولن أطلب فيها أن أكتب غير الحق فلا أوثر هوًى ولا أخشى غضباً

٢ — فتور الحركة الأدبية فى مصر

من غريب الاتفاق أن يصرح الأستاذ توفيق الحكيم فى العدد السابق بنُعاس الأدباء إذ يقول : « كل شيء (يعنى الكتب والتأليف) يمر فى فتور . . . العلة بسيطة ، ما من أحد فى هذا البلد يبدو عليه التحمس الملتهب لشئون الفكر والأدب . إن علة الفتور هى الأدباء أنفسهم . . . إنهم يكتبون فى الأدب وكأنهم ناعسون . إن أقلامهم لا تثير فى جو الفكر حراكا . وهنا الفرق بين أدبائنا وأدباء أوربا »

أن يكتب الأدباء « كأنهم ناعسون » ذلك لا يقع موقع العلة ، بل ذلك مظهر من مظاهر الفتور أو قل مظهره الأسطع . إنما العلة تذهب إلى ما وراء هذا . العلة فى انطواء كل واحد من الأدباء على نفسه وتشبثه بأسلوب واحد وتهاونه بالقارئ

ترى الأديب المصرى لا يعنى بما يجرى حوله كأنه المؤلف الفرد . على أن الأديب سجلّ عصره إذ يدون مجرى التأليف ، وينبه الأذهان إلى كتاب أو منحى أو مذهب أو ظاهرة اجتماعية أو ضيق محتوى . ولربما فطن أديب إلى ذلك فإذا به فى غالب الأمر وأكثر الحال ينوه بصديق أو يقع فى عدو أو يهمل كتاباً من الكتب جهلاً بفنه أو إنكاراً لنفاسته أو اتقاء لصاحبه أو تناسياً . أما التناسى فيدل على ذهاب بعضهم بأنفسهم على كل أحد وذلك من باب الغرور ، وقصة الغرور معروفة . وأما الاتقاء فيدل على ضيق الصدر بالنقد ، ومردّ هذا إلى الحداثة فى إقبال أمة على صناعة التأليف . وأما إنكار النفاسة فرجعه إلى خفّة الثقة بالنفس وما ينشأ عن ذلك من خشية المنافسين . وأما الجهل بفن الكتاب فلتشبث الأدباء بأسلوب واحد

وتشبث الأدباء بأسلوب واحد أن ينجذبوا إلى طريقة من التأليف أو يهيموا بأدب من الآداب، فيقفوا عندهما ظناً منهم أن ما يليهما أو يخرج عنهما لا وزن له

وأما تهاون الأديب بالقارئ فتلمسه فى تلك الكتب التى تخرج للناس وإن هى إلا طائفة من « المترسلات » Essays أعنى مجموعة من المقالات اللاحقة بفن الإنشاء (بمعناه المدرسى) فلن يزال الأدب عندنا قاعداً حتى يدرك الأديب أن المقالات الإنشائية لا تسوّى كتاباً : المقالات للجمهور الضخم ، وفيه الأستاذ والبقال وفراش الوزارة ، والكتاب للقراء . ثم إن المقالات

ومن أهم هذه الأعمال وأكثرها طرافة تسخير الكتبة الذين لا عمل لهم فى عمل مراجع لجميع الأعمال الفنية فى أمريكا ، وتسخير النساء فى عمل ملابس للعمال العاطلين ، وإنشاء مسارح للممثلين والفنانين العاطلين . هذا عدا الأعمال الزراعية والمنشآت والمؤسسات التى تتطلبها البلاد . وقد أنفقت الحكومة الأمريكية مبالغ طائلة فى تنفيذ هذا المشروع ، وهى وإن كانت ترى أن إيجاد أعمال لهؤلاء يكلفها أموالاً أكثر من التى تتكلفها لو اكتفت بإعطاء المعونة المالية لهم إلا أنها تعتقد أن فى عملها هذا محافظة على كرامتهم ورعاية لأخلاقهم

تهبط بذوق القراء إذا كانوا من الغافلين وتفتّ في نشاطهم إذا كانوا من العارفين ... الكتاب ينشر ليبقى غبًا أعم ، والمقالات لتذهب ، على الغالب . وكل ما تعده للبقاء يستلزم الروية والاجتهاد والمراجعة بل الخلق ، والخلق لا يواتيك كل يوم

إني أكره أن أوافق غيرى على أن القراء المصريين لا يقبلون سوى أدب التسلية والإنشاء التعليمى . فإني — وإن عرفت جناية منهج دنلوب وأعوانه على نشاطهم الذهنى — لأعتقد أن فيهم من يرغب عن الشعر الذى لا تهب فيه عاصفة ، ولا يصفق موج ، وعن النقد الآخذ بالظواهر دون البواطن ، ومن القصة المسرودة سردًا ، وعن المسرحية الباكية أو المهذّبة ، ومن المقالة العابرة كما يقال اليوم ، وإن قلتَ : أتعرفنى سائر القراء ؟ قلت : لك ما تشاء ، ولكن الأدب لا يحيا على أيدى قارئ يفتح الكتاب ليستعين به على ركوب قطار السكة الحديدية أو على إغماض الجفن إذا كان ممن يشكون الأرق .

هذا ومن مساوئ العلة الأولى — وهى انطواء الأديب على نفسه — أن أدباءنا يعوزهم التماسك المعنوى . فهذان حادثان كريهان وقعا هذه السنة لأديبين ؛ فلم يعضد الأول إلا واحد ، وأما الثانى فمن نصره ؟ أين الغضب للفكر الحرّ ؟ ألا عسى أن يذكر أدباؤنا أن الفرد مستضعف .

كل ذلك يعلل فتور الحركة الأدبيـة . ومجمل القول أن الكتاب لا يحدث حدثًا إلا فى الندرة ، إما لإغفال حملة الأقلام له أم لدقة شأنه ؛ وأن القارئ الجدّ لا يكاد يصيب أدبًا رفيعًا يلهج به ، وأن جمهرة الأدباء لا يضمون أصواتهم بعضها إلى بعض حتى يحس الناس أنهم مستيقظون .

بشر فارس

حفلة تأبين الملك غازى الكبرى فى بغداد

كان يوم الأحد ١٤ مايو من أيام بغداد الغر . وما أكثر الأيام الغرّ فى بغدادا وكانت حافلة بوفود العربية من كافة أقطارها . وكان الناس فى كل ندىّ وقهوة ومنزل مصغين إلى صناديق الإذاعة التى لم تنقطع منذ الغداة الباكرة إلى ثلث الليل عن بث الخطب والكلمات والقصائد والمقطوعات تتخللها آيات الذكر الحكيم يتلوها المشيخة من قراء بغداد ، وعلى رأسهم القارئان الأشهران الحاج محمود عبد الوهاب والملا مهدى

أما الحفلة الكبرى التى شدت إليها الرحال ، فقد أقيمت فى (بهو الأمانة) فى منتصف الساعة الرابعة فافتتحها الملا مهدى بتلاوة آيات « وما محمد إلا رسول » وكان موفقًا فى اختيارها ، ثم أعلن عريف الحفلة الأستاذ الساسانى مدير الدعاية والنشر أن الكلام لفخامة نورى السعيد باشا الذى رحب بالضيوف ، وتكلم عن العرب فى الجاهلية ووصف ما كانوا عليه من تأخر وجهل وما صاروا إليه بعد اتباعهم محمدًا من التقدم والعلم ، وعرض لوفود العراق على النبى صلى الله عليه وسلم ووصف هذه الوفادة بأنها ابتداء الصلة بين العراق والأسرة الهاشمية . ثم تكلم عن أثر العراق فى نشر الإسلام وصلتهم على الأيام بهذه الأسرة الماجدة ، وخلص إلى الكلام على الملك حسين وما قام به من أعمال وعلى ابنه وحفيده عليهم رحمة الله . ثم صرح بأن العراق سيواصل العمل فى سبيل القضية العربية ، وختم كلمته برفع الشكر إلى الأمة العربية الممثلة فى وفودها

ثم قدم العريف دولة لطفى الحفار بك رئيس الوزارة الشامية السابقة الذى ألقى كلمة طيبة بيّن فيها عظم الفاجعة بغازى ، وأثر الحسين وأسرته فى تاريخ العرب ، وذكر بالشكر موقف الملك غازى من الشام شماله وجنوبه ؛ وأعلن أن الشام وأهله سيبقون ذاكرين له شاكرين ، وصرح بوحدة المشاعر والأمانى بين البلدين

ثم قدم سعادة حمد الباسل باشا فألقى كلمة افتتحها بذكر الاتفاق فى الموضوع والفكر فى الخطب كلها ، وأن ذلك يدل على اتفاق العواطف والشعور ، ثم تكلم عن ثورة الحسين ومن أسرته إلى أن انتهى إلى غازى وفيصل الثانى (الصغير بنفسه الكبير بأمته) وأثنى على حسن اختيار الوصى وعزى العراق باسم مصر ورجا له التقدم والمجد

ثم تكلم جمال بك الحسينى مندوب اللجنة العربية باسم فلسطين فبيّن أن الكوارث تنشئ القوة وأن امتحان العراق بالنكبات لم يكسبه إلا قوة وصبرًا . ووصف روعة المصاب بغازى وآلام البلاد العربيـة ولا سيما فلسطين وعمـل غازى فى سبيلها ، وأعلن أنها لن تنسى عمله ولن تحيد عن مبدأ جده الأعظم الرسول المصطفى

ثم ألقى الأستاذ على الجارم مندوب وزارة المعارف المصرية قصيدة دالية افتتحها بالبكاء على الغضار الحرّ (فما أغنى البكاء ولا أجدى) ، وعلى النبات الذى ذوى ، وجذوة النار التى انطفأت ووصف (لوعة مكلوم الفؤاد) وذكر أنه الدهر (هو الدهر ما يفتت يخير عينه ، يجمعنا سهوًا (؟) ويشرنا عمدًا) وأنه لا يفرق

بين ملك وعبد ، ووصف المصاب أوصافاً عامة تنطبق على كل مصاب ، وتصلح لكل ميت ، فهدّ (على عادته في كل رثاء) هدّ العلياء ، وأطفأ نور الشمس ، وفرق الأنفس ، وأبكى الترك والمندا (ولا تنس أن القافية دالية) . أما ما يختص به الراحل الكريم ويصفه به ، فهو أنا فقدناه ريان الشباب ، وأن شمائله تفيض مسكا وآثاره ندآ ، وأنه كان حساماً بيد الله فصارت الأرض له غمدآ ، وذكر اسمه بعد فقال :

يقودهم الغازى إلى خـــير غاية
فأكرم به ملكا وأكرم بهم جندا
كأنـ غبار السيف فى لهواتهم
سلاف من الفردوس مازجت الشهدا

وجاء فى القصيدة أبيات حلوة جيدة ، ولكنها على حواشى الموضوع كقوله :

لهم فى سجل المجد أول صفحة كفاتحة القرآن قد ملئت حمدا
ومن كتب المجد المبين بسيفه على جبهة الدنيا فقد كتب الخلدا

ثم خاطب (حمامة وادى الرافدين) وسألها الترفق ودعاها إلى الصبر ، وتكلم عن دجلة والنيل وجاء بأبيات حلوة ثم أحس بأنه لم يقل إلى الآن شيئاً عن الملك غازى بالذات فعاد يصفه ...

مضى الماشمى السمح زين شبابهم وأعرقهم خالاً وأكرمهم جدا
فتى تنبت الآمال من غيث كفه ! !

واكتفى بذلك ، فانتقل إلى وصف سفره إلى بغداد وانقلب واجف ، وسلوكه الصحراء ، وعده الساعات وسأمه ، وأنه جاء يقضى للعروبة حقها . ثم ختم قصيدته بالسلام على غازى وعلى الذى من بعده (كما كان يقول المتقدمون ...) وقد كان إلقاؤه مؤثرآ . وأسلوب القصيدة حلو سلس ، وإن كانت فى غير الموضوع ، وكان فى الإمكان رد معانيها إلى مواضعها من الدواوين المطبوعة ...

ثم قرأ الأستاذ بهجة الأثرى المفتش فى وزارة المعارف كلمة معالى الدكتور هيكل باشا الذى أعلن أسفه على حرمانه من حضور الحفلة ، ووصف أثر الأسى فى جمع القلوب ، وبين أن العرب كلهم أسرة واحدة كان الفقيد من أقطابها وإن الفاجعة فيه عظيمة ، إذ فقده شعبه ملكاً ، وفقد ابنه أباً براً . وتكلم عن اتجاه العراق إلى الوحدة العربية ، واستشهد بحديث له مع فخامة نورى السعيد باشا ، ثم بين رجاء العرب فى العراق ومليكه الجديد ، ومشاركة مصر إياه فى آماله وآلامه

ثم قرأ طالب مشتاق بك طائفة من البرقيات الواردة من رفعة النحاس باشا من مصر ، وسعادة الدكتور شهبندر من دمشق ، والعشماوى بك ، وخليل ثابت بك ، والأستاذ خليل مطران من مصر ، وعصبة العمل القومى من دمشق ، والأستاذ صبرى العسلى ، ومعالى شكرى بك القوتلى .

ثم ألقى الأستاذ الشيخ يوسف الخازن كلمة لبنان ، فبيّن أن روابط الجهاد تؤلف بينه وبين العراق ، وذكر فضل البيت الهاشمى على العرب ، وأن قد (تحدث به الركبان فى الحل والحرم !) ووصف شباب غازى وضمّن كلامه أبياتاً فى الشباب ، ووصف جماله وذكر أن الله جميل يحب الجمال ... وبيّن موقفه من الفتنة الأثورية بكلام كله استعارات ومجازات وتضمينات شعرية ... وشبه غازى بهنرى الرابع الذى وصفه شاعر بأنه أخذ الملك بالارث وبالفتح معاً ؛ وشبه فيصل الصغير بلويس الرابع عشر الذى ولى الملك صبياً ورجا لهُ مثل أيام لويس ، وكانت كلمته حافلة بالمعانى ، وفيها وصف للفقيد .

ثم ألقى السيد بهاء الدين طوقان قصيدة الشاعر الشيخ فؤاد باشا الخطيب وهى لامية أولها (الذكر باق والعروش تزول) وصف فيها نشأة غازى فى أرض الحرم ، ونخوته ونفسه الأبية ، ووصف حياته بأنها حلم أعقبه حيرة وذهول ، ووصف حزنه على الفقيد ، وتمنى أن يكون له مزامير داود ليرثيه ولكنه عاجز ، ووصف عيه وعجزه وتمدح بأنه الطليق الحر ، ولكنه غدا اليوم مقيدآ . والقصيدة قصيرة أشبه بمقطوعة من شعر الخطيب منها بقصائده الطوال

ثم ألقى مندوب الأزهر كلمته فافتتحها باسم الله ، وانفرد بهذا الافتتاح المبارك دون سائر خطباء الحفلة ، وبين أن للحياة مراحل أربعاً كل واحدة أوسع من التى قبلها وأطول مدة ، وهى حياة الجنين وحياة الدنيا وحياة البرزخ وحياة الخلد فى النعيم أو الجحيم . وتكلم عن الوحدة الإسلامية وأنها فى وسائل السلام العام ، وبيّن مبلغ الفجيعة بغازى والأمل فى فيصل ، ودعا إلى القوة ونفى اليأس . وكانت كلمة طيبة ولكنها كانت أشبه فى مفتتحها ببحث على منها بخطبة تأبينية

ثم ألقى الأستاذ أكرم زعيتر من فلسطين كلمة حماسية قوية وصف فيها جهاد فلسطين ، وتكلم عن اهتمام المليك الراحل بقضيتها ، وعرض صورة خيالية مؤثرة لليالى المليك التى أحياها

منكراً فى فلسطين وتوم حديثاً بينه وبين أهله ، واستنجد العراق باسم فلسطين ، وطلب لها انتداب العراق وحمايته[1] ؛ وذكر أن الأمل فى فيصل الصغير ، ومدح حكومة العراق وشعبه .

ثم ألقى الأستاذ سليمان الأحمد (بدوى الجبل) قصيدة دالية بدأها بصور خيالية ، وصف فيها مصرع الشمس ، وجعل حمرة الفجر مقتبسة من دم غازى . ووصف عرس الجنان ، وصبرة المتعى . ثم وصف كيف ضمت الأم فتاها الشهيد وصور روعتها وحنانها ، ووصف بغداد (دنيا الرشيد ، تفنى الحضارات ، وتبقى كالدهر دنيا الرشيد) ، وكيف لاحت فهتف الهاتفون لجنت السيوف ، وانتخت فى الغمود) ، وانتقل إلى ذكر غازى :

وتجلى غازى فكبرت الدنيا وقال الجلال هل من مزيد
ويمناه راية الوحدة الكبرى فيـدى يا راية الله ميدى

ووصف عيد المليك ، وصوّر المهرجان فى دمشق ، وما أعدت له من زهر الغوطة وعطورها . ثم ذكر كيف كان ذلك كله حلماً وانطوى ، (فمن رأى النسر بادرته المنايا ، فهوى وهو ممعن فى الصعود) . وبين روعة الشام لجلال الحادث :

أشفقوا أيها النعاة على الشام ولا تجهروا بنجوى البريد

فربما كان كذباً ، ربما كان اختلاقاً . ثم تحقق الخبر ، ولم يبق من شك فسألهم أن (أذيعوه يرجف البر والبحر ، واحملوه إلى ابن حمدان ، وألموا بخالد وأمية وغسان ... ثم انتقل إلى ذكر الملك الطفل فجعل له :

تاج بغـداد والشآم ولبنـان وبحر للروم طاغ عنيـد
أيها البحر بعض تيهك لست للروم (أنت للملك نضار بتاجه المعقود)
أيها البحر أنت مهما افترقنا ملك آبائنا وملك الجـدود

وبين أنه : (هاشمى الهوى أحب فما دارى ، وعادى على هواهم وعودى) — وكانت القصيدة على الجملة أحسن ما ألقى فى الشعر فى هذه الحفلة ، وإن كانت فى أسلوبها دون الجارمية وقد اختتمها بذكر الوحدة :

ليس بين العراق والشام حد هدم الله ما بنوا من حدود

ووصف جيش العراق الذى يغزو قبة الفلك ... وتسجد له الدنيا . . . وجعل الشام فى ذمة الوصى على عرش العراق وذمة العراق . . .

ثم ألقى الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة الجامعة المصرية فوصف كيف شجاها الخطب ، وبين التعاون بين القطرين على بناء المجد ، وذكر روعة الخطب وعظمه ، ولكنا أعظم منه لأننا بنو الشدائد ، وعرض إلى عبرة الخطوب وثمراتها فى جمع الكلمة والوحدة ، وأعلن أن هذا المصاب مصاب المسلمين كلهم ، وختم كلمته بمقطوعة شعرية جيدة ، بين فيها أن الرخاء بعد الشدة ، وأن البدر يبزغ من بين الغيوم ، وأن تضحك الأرض من بكاء السحب ، وبعد غيض الماء فيض دجلة ، وأن فى كل خطب للقرائن دعوة إلى المجد والقوة والحياة . وكانت كلمة طيبة بالقاء أطيب .

ثم ألقى الأستاذ الشريقى قصيدته فافتتحها بوصف حزنه ، ونضوب دمعه ، وأثر الحزن فى دجلة :

وما الحزن إلا ما ألم بدجلة ففاضت دموعاً فهى تندب غازيا

وجعل غناء الأطيار مراثياً ، والأقمار تبكى مؤملاً : أطل على الدنيا هدى وأمانيا . ووصف غازى وصفاً مجملاً :

فلله من أدى الأمانة حقها ووضّح للضوء الذى كان خابيا

وأنه تمرس بالأخطار ، وأنه فتى الأمل المزهو ، وأنه خير من قاد العتاق المذاكيا ، وأنه هو الفجر إشراقاً ، وله الهمة القعساء ، وطلب لقبره سقيا الغيث :

ويا لشهيد المجد حياه هاطل من الغيث لم يبرح على القبر هاميا

فى أوصاف هذا سبيلها ، ثم عرض للأمل ببغداد وأنها :

تواثب دهر الحرب حتى ترده وقد كشفت عنه الأذى والعواديا

والقصيدة من باب الجارمية وإن كانت لا تحمل مثل أسلوبها وليس لها سلاستها وحلاوة ألفاظها

ثم ألقى الشاعر اللبنانى الأستاذ شبلى الملاط قصيدة وصف فيها الفاجعة بغازى أحسن وصف ، ولكنه لم يملك ناصية الأسلوب ولم يستطع أن يجعل ألفاظه كمانيه فهو على الضد من الجارم ، وانتقل من وصف الفاجعة التى حدد تاريخها وصور دقائقها إلى الكلام على فيصل :

بدر العروبة وابن عم محمد نسباً وأعرق دوحة ميلادا
وأعاد أيام الرشـيد وتاجه واستصرخ المجد القديم فعادا

(١) مع أن مما يجب أن يعلم أن الحماية والانتداب والوصاية ألفاظ مترادفات معناهن الظلم (وظلم ذوى القربى أشد مضاضة) ، وأن الوحدة العربية المنشودة ليست وحدة الفتح وسيطرة قطر عربى على آخر ، ولا هى انضمام حكومة من الحكومات العربية القائمة اليوم إلى أخرى وتبعيتها لها وإنما هى اتحاد أو وحدة على أساس المساواة والأخوة . أما الانتداب والحماية والوصاية فشر كلها وشر منها أن تأتى من الأخ القريب ، وهذا معنى يحتاج إلى زيادة بيان فى فصل مستقل بنفسه

ثم انتقل إلى غازى ووصف أخلاقه وأنه يلين عند اللين ويشتد عند الشدة :

وتثور ثورة نفسه إن حاولت أيدى الغريب لقومه استعبادا

ثم وصف فلسطين وأطال ثم خلص إلى الكلام على نصرة غازى إياها ، وعرض لذكر فيصل الصغير وندائه أباه ، وتفتيشه عنه فى سريره ، وذكر عبد الإله والعراق ولم ينس أن يتحدث عن نفسه وأن يتشبه بـ ... هوميروس !

ثم ألقى الأستاذ اليعقوبى قصيدة طويلة جداً ليس فى مبناها ولا معناها ولا إتقانها ما يذكر بالجودة . يقول فيها :

أبا فيصل أحبب بهالك كنية وربَّ رجال لا تحب كناها

وجاء فيها (وأسفرن ربات الحجال) على لغة (أكلوه البراغيث) ، وجاء فيها (ولا سرحباً فى نهضة أو قضية إذا كنتم لا تحملون لواها) ، وكان خيراً لو ختمت الحفلة بشبلى الملاط . ثم ختم الحفلة فخامة رئيس الوزارة العراقية بالشكر والدعاء

« بغداد » (ع . ط)

جمع الباسل

قال فاضل مشهور فى قصيدة فى هذه الأيام :

طرحنا رداء اليأس عنا بواسلاً وإن هزنا يوم العراق وإن أدَّا

فجمع (باسلاً) على (بواسل) والبواسل للباسلة ، لا للباسل ، ولهذا البُسْل — كالنُّزْل — والبسلاء[1] ، وفى الصحيح الباسلون. قال (الكتاب) : « وإذا لحقت الهاء فاعلاً للتأنيث كسر على فواعل ، وكذلك إن كان صفة للمؤنث ولم تكن فيه هاء التأنيث وإن كان فاعل لغير الآدميين كسر على فواعل وإن كان لمذكر أيضاً[2] وقد اضطر فقال فى الرجال وهو الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار »

وقد شذت شاذات ذكرها الصحاح والتاج . قال الأول : « أما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه — أى على فواعل — إلا فوارس وهوالك ونواكس ، فأما فوارس فلأنه شىء لا يكون فى المؤنث[1] فلم يخف فيه اللبس ، وأما هوالك فإنما جاء فى المثل فجرى على الأصل لأنه قد يجىء فى الأمثال ما لا يجىء فى غيرها ، وأما نواكس فقد جاء فى ضرورة الشعر » وقال الثانى : « قد جاء أيضاً غائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، وفارط وفوارط ، وخالف وخوالف »

وإن قال أدباء بسلاء : (إن بواسل كفوارس شىء لا يكون فى المؤنث فلم يخف فيه اللبس) فجواب هذا القول عند (المريبات المصريات) البواسل . . . « * * »

(1) فى المخصص : « قال أبو زيد : الباسل الشجاع كأنه بسل على قرنه أى حرم والبسل الحرام ، والجمع بسلاء وبسل » وذكر اللسان والتاج الجبن ، ولم يورد الصحاح إلا البسل وبسيل مثل الباسل يا أخا العرب

(2) لأنه لا يجوز فيه ما جاز فى الآدميين من الواو والنون فضارع للمؤنث ولم يقو قوة الآدميين (سيبويه)

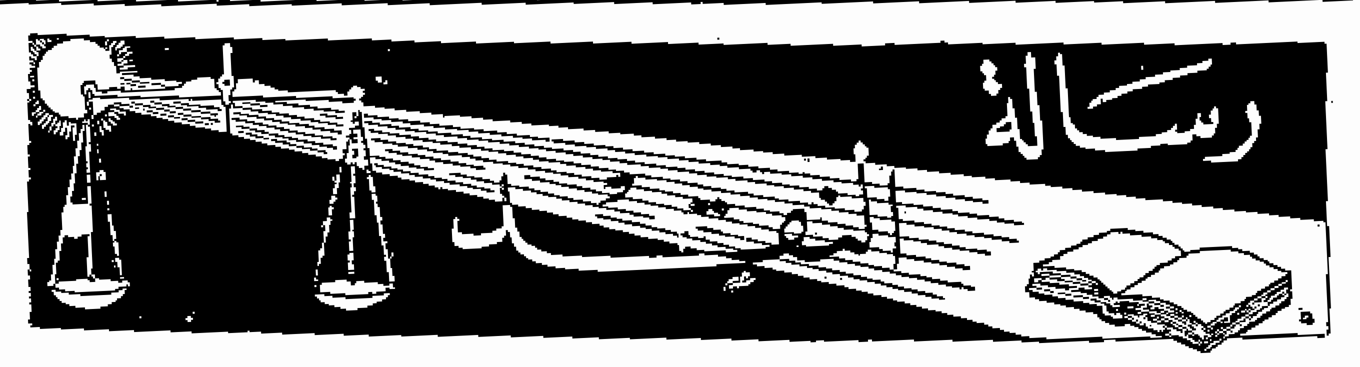
(1) فى اللسان . قال ابن سيدة : لم نسمع امرأة فارسة

محاضرة هامة فى جمعية المهندسين الملكية

ألقى الأستاذ الدكتور محمد محمود غالى من مصلحة الطبيعيات محاضرة عن الأشعة الكونية حضرها كثير من المهندسين والعلماء يتقدمهم صاحب المعالى محمد شفيق باشا وزير الأشغال السابق ورئيس الجمعية الذى اهتم بموضوع الأشعة منذ العام الماضى عندما طرح الدكتور غالى بدار الجمعية أبحاثه القيمة عن طمى النيل ، فطلب منه أن يحاضر زملاءه المهندسين عن أحدث ما يعرفه فى العلم التجريبى

والدكتور غالى محاضر ممتاز بتبسيط المواضيع العويصة وعمارة التحليل العلمى وقوة الاستنتاج وعظمة الاستقراء .

والرسالة تقدم لأحد أفراد أسرتها التهنئة لما يصادفه فى جميع محاضراته من نجاح



٥ـ فى سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

كان يصح أن أجعل موضوع حديثى اليوم ما أفضى به إلىّ طالب بالسنة التوجيهية بإحدى مدارس وزارة المعارف بالقاهرة ، فقد جلس الطالب إلى جانبى فى بعض مراكب « الترام » وجعل يشكو إلىّ (على غير علم بأنى ناقد كتاب البخلاء) من أنه قد يعرض للطلبة توقف فى فهم بعض أغراض الشارحين للكتاب فيبدو لهم أن يناقشوا أساتذتهم فى ذلك ، فيوصد باب التفاهم معهم بقوله : إذا قال الخارم بك وجب الإذعان . وهكذا يميت الأستاذ فى نفوس طلابه حب البحث ومعالجة الحقيقة بكلمة لعله يرجو أن تصل إلى صاحبها فتكون شفيعاً له . ولكن ما أدناها من شفاعة إذا كان الأستاذ يعلم صواب ما يريد طلابه مناقشته فيه فيحتجنه عنهم ابتغاء مرضاة رئيسه .

ولكنا نعود إلى عملنا فى نقد الكتاب راجين من حضرات المدرسين بالسنة التوجيهية ، وهم الذين يدرسون للطلاب هذا الكتاب ويعدونهم للامتحان فيه بمناقشة معانيه وتوجيه مراميه راجين منهم أن يزنوا كلامنا حتى إذا آمنوا بصدقه عادوا إلى طلابهم فصححوا ما كانوا قد سهوا به من سقطات الكتاب ليؤدوا بذلك أمانة العلم كاملة إلى طلاب لا لوم عليهم إذا قبلوا حقائق تقول وزارة المعارف إنها محصتها فارتضتها غذاء لعقولهم .

ص ٩١ يقول خالويه المكدى لابنه :

« ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين ، ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالآباء ، لأنى لم أبالغ فى محبتك »

هكذا أورد الشارحان كلمة « محبتك » وعلقا على الجملة بقولهما : (ولست أرضاك) أى لسرى وثقتى . (وإن كنت فوق البنين) أى فوق أبنائى منزلة . (ولاحقاً بالآباء) أى لأنك كبير السن . (لأنى لم أبالغ فى محبتك) لأنى لم أجاوز الحد فى تقدير محبتى إياك

وهذا التفسير خطأ فى ذاته ينقض آخره أوله؛ إذ كيف يجعله أولاً فوق البنين ثم لا يكون مبالغاً فى محبته! وهل فوق محبة البنين محبة ؟!

كان يكفى هذا التناقض لعدول الشارحين عن شرحهما وبحثهما عن تصحيف أو تحريف لعله يكون قد وقع فى الجملة ، ولكنهما لم يفعلا وقبلا هذا التناقض فى سطرين متواليين من شرحهما

والذى أراه أن كلمة « محبتك » مصحفة عن كلمة « محنتك » ، والمحنة الاختبار . فيكون الذى منع الوالد من أن يجعل ابنه موضع سره ليس نقص محبته ولكن نقص تجربته له

أما كون الأب لم يجرب ابنه فذلك معقول، جائز خصوصاً إذا كان الأب كخالويه هذا قضى حياته موكلاً بفضاء الأرض يذرعه

وفى الصفحة عينها يقول خالويه هذا متحدثاً عن ماله : « ولم أحمد نفسى على جمعه كما حمدتها على حفظه لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس »

والمعنى فى ذلك واضح، فهو يقول إن بعض هذا المال صار إلىّ من غير تعب أو محاولة فى جمعه ، كأن صار إليه من هبة أو ميراث ، فلا يكون له فضل فى الحصول عليه . ولكن الشارحين يقولان فى معنى الجملة الأخيرة : « لأنى لم أسلك فى جمع بعضه طريق الحكمة والحزم .

وهذه عبارة ناطقة بأنه سلك فى جمع هذا البعض طريقاً غير طريق الحكمة والحزم

فى ص ١٠٦ يصف الجاحظ رجلاً بأنه عضب اللسان عارف بالنامض من الأمور، فاهم للدقيق من المحاسن لا يسكت على عيب

فى الناس إلا ندّد به وشهّر ، ثم يقول عنه بعد ذلك :

« وإن ثريدته لبلقاء إلا أن بياضها ناصع ، ولونها الآخر أصهب . ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين »

فيقول الشارحان بعد أن فسرا البلقة بأنها بياض وسواد أو بياض وحمرة : ويظهر أن هذا التلون فى الثريدة يكون من قلة الدسم أو رداءة المرق وقلته ، حتى ليكون بعض الثريدة مشبعاً به وبعضها ليس كذلك . اه

والظاهرة العجيبة فى هذا الشرح أن الشارحين يذكران فيه شيئاً غير معقول لأحد، حتى لها أنفسهما، ذلك أنهما ينسبان هذا التلون فى الثريدة إلى قلة الدسم ، فكيف يتصوران هذا ؟ لا شك أنهما فرضا هذا الدسم صبغاً كصبغ الحيطان أو صبغ البيض فى شم النسيم ! حين ذاك حقيقة تكون قلة الدسم كافية لأن يظهر بعض الثريدة بلون الخبز الأصلى وهو البياض ، وبعضها وهو الذى ناله الصبغ يكون من نصيبه تلك الصهبة ، كذلك تعليلهما هذا التلون بقلة المرق أو رداءته . وما ندرى كيف جاز هذا فى رأيهما ولم يقل به طاه ولا طاهية ؟

إن الذى يصح أن يفهم من اختلاف لون الثريدة أن الرجل كان يقدمها إلى ضيفانه وقد كسى بعضها باللحم وترك جانب منها لا لحم عليه ، فظهر هذا أبيض ناصعاً بلون الخبز ، وذلك أصهب بلون اللحم . ويكون ذلك عيباً كبيراً وسبة شنيعة فى كرم الرجل لأنه لم يجر على عادة الناس من تغطية جميع الثريدة باللحم . فإذا كان قد زاد على ذلك أنه جعل ما يليه من الثريدة هو المغطى باللحم يكون قد ارتكب إلى جانب البخل رذيلة أخرى هى رذيلة الأثرة على من يجب نحوهم الإيثار

ويؤنسك بهذا المعنى قول الجاحظ تلو هذا الكلام: « وكنت قد هممت قبل ذلك أن أعاتبه على الشيء يستأثر به ويختص به ... فلما رأيت البلقة هان على التحجيل والغرّة »

يريد أنه كان يرى من هذا الرجل استئثاراً بالشيء دون جلسائه ، ولكن ذلك يكون خفى الموضع ليس فى شناعة تمييزه لنفسه على الخوان بجعل الثريدة التى يأكل منها على حال غير التى يجعلها أمام الناس من مضار مائدته ، فلما رأى منه ذلك لم ير وجهاً لنصحه لأنه لا يقدم على هذا إلا مصرٌ غير مبال بذم الناس ونقدهم

ص ١٠٩ يقول الجاحظ للحزامى وقد اتهمه بالإسراف وتضييع الحزم حين رآه يلبس من ملابس الشتاء قبل إبانه :

« وأى شيء أنكرتَ منا منذ اليوم». فيعلق الشارحان على قوله « أنكرت » بقولهما : أى جحدت واستقبحت من أمرنا

وقد جمعا فى التفسير بين معنيين متضاربين فإن الجحود ادعاء جهل الشيء مع علمه وهو لا يلتقى مع الاستقباح ، إذ هو إعلان الرأى بقبح الشيء

والواقع أن الإنكار يفسر بالمعنيين ، ولكن ليس يلزم من هذا أن يفسر بهما معاً فى مقام واحد . فالمراد هنا هو المعنى الثانى فقط وهو الاستقباح ، فأما الجحود فلا محل له كما هو واضح من مقام الكلام

وقد وقع الشارحان فى هذه الغلطة نفسها فى ص ١٢٩ حين أورد الجاحظ وصف الجارود لطعام عبد الله بن أبى عثمان فقال : « يُعرَفُ ويُنكَر » . فقال الشارحان فى التعليق على ذلك : ينكر من الإنكار وهو الجحود والمراد يُعَبُّ ويُكرَه . فجمعا فى التفسير اللغوى وبيان المراد بين المعنيين وهما الجحود والاستقباح لأن مقصودهما من قولها « يُكرَه » إنما هو أنه يستقبح . فبان من ذلك استساغة الشارحين للمعنيين معاً وجمعهما فى تفسير كلمة الإنكار حيث وجدت ، مع أنها إذا فسرت بأحدهما امتنع تفسيرها بالآخر فى نفس المقام . وهذا ظاهر

ص ١١٤ يحكى الجاحظ عن الحزامى :

« كان يقول : أشتهى اللحم قد تهرأ وأشتهى أيضاً الذى فيه بعض الصلابة

وقلت له مرة : ما أشبهك بالذى قال أشتهى لحم دجاجتين »

فيعلق الشارحان على قوله : « وقلت له مرة » بقولهما : أى لما قال أشتهى اللحم .. وكان مقتضى الظاهر أن يقول فقلت له. اه

يتعب الشارحان أنفسهما فى محاولة ربط الكلام بعضه ببعض ولكنهما فى سبيل ذلك يعدلان عن صواب إلى خطأ ويحملان اللفظ ما لا يحتمله من المعانى ، ويتقولان على القائل ما لم يقل ، أو يستظهران ما لا داعى إلى استظهاره . ومن ذلك قولهما هنا : كان مقتضى الظاهر أن يقول فقلت له (أى بدل وقلت)

ونرى أنه لا داعى لهذا فإن عبارة الحزامى « أشتهى اللحم الذى قد تهرأ » كانت هجِّيرا ، ومن لوازمه المأثورة عنه فقال له الجاحظ فى مرة من المرات التى كان يرددها فيها : ما أشبهك الخ .



حيـــاة الرافعي

تقرير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وفي ص ٥٧ مكتة من الأسلوب أظنها تريد أن تلقي في ذهن القارئ أن الرافعي ترك الشعر إلى النثر لأنه عجز عن الصياغة الشعرية . يقول المؤلف : « فما أراه كان يقول ذلك — يعني قيود الشعر — إلا تعبيراً عن معنى تأبى كبرياؤه الأدبية أن يصرح به ، وفي رأيي أن الرافعي لم يقصر في مضمار الصياغة الشعرية وإنما كان تركه الشعر نتيجة لما تصدى له من فنون الأدب . فالشعر لا يتسع لأكثر من الخواطر السريعة والخلجات النفسية القصيرة ، على حين قصد الرافعي إلى الفلسفة والتطرق إلى بواطن المشاعر والوجدانات ، ولو أنه نظم فلسفته في الجمال والحب لما استساغ ذلك إنسان ، وفي رسائل الأحزان وأوراق الورد شعر جيد قد لا يتفق لغيره ممن اشتهروا بالشعر دونه . فأداة الرافعي في الشعر لم تكن عاجزة ولا قاصرة . ولكن تدفق عاطفته وغزارة خواطره وعمق فلسفته هي المسئولة عن هجره الشعر . ثم ألم يكن من الخير للعربية أن يتجه الرافعي إلى النثر ؟

ويرد المؤلف (ص ٦٧) تقديم شوقي لنشيده بعد أن طلبه إليه ذلك وإحجام حافظ ، إلى إباء في طبع هذا وحرص في طبع ذاك على أن يقال في كل مناسبة قال شوقي . ولو كان الأمر كذلك لقدم شوقي نشيده من أول الأمر . والحق أنه استكبر أن يتقدم في مسابقة مع صغار الشعراء ، وأنف من أن يضع شعره موضع الامتحان ؛ فلذا وعد بأن نشيده هو الفائز تقدم به ، أما حافظ فكان عضواً في اللجنة ، وعلى ذلك فهو يعرف اتجاهها والدليل على ذلك قول الجاحظ : « وكان يقول » ولو كان قد قالها مرة واحدة كما ظن الشارحان لقال : « وقال مرة » فتكون ملاحظتهما جائزة

فبان أن الخروج عن مقتضى الظاهر لم يكن من الجاحظ وإنما كان من الشارحين

ص ١١٥ يروي الجاحظ قصته فيقول :

« وكنا عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس فقسمها بيننا ، فكل ما أخذ منها الحزامي أعطي غيره » . فيضبط الشارحان كلمة كل بالضم ويعلقان على الجملة بقولهما : « أي جميع الذي أخذه الحزامي من هذه الزقاق فرقه على أصدقائه . فمفعول أعطى الثاني محذوف »

وهذا الضبط خطأ ويتبعه خطأ الإعراب أيضاً ، والواجب ضبط الكلمة بالفتح فتكون مفعولاً ثانياً مقدماً لأعطي . والقاعدة أن الفعل إذا كان يطلب مفعولا فما دام في حيزه ولا مانع من وصوله إليه لم يجز منعه عن العمل فيه . وعلى هذا يكون تقدير الجملة أعطى الحزامي غيره كل ما أخذ من الزقاق

(ملاحظة) : سنراعي جانب الإيجاز البالغ فيما بقي من المآخذ على الكتاب . وربما انتهينا من ذلك في مقال أو اثنين لأننا نعتقد أن على الرسالة حقاً لقرائها في تنويع القول وتلك هي سنتها معهم

محمود مصطفى

نحو نشيد شوقى فلم يتقدم حقفناً لكرامته

وخرج المؤلف من فصل « شيوخه فى الأدب » بالنتيجة الصحيحة التى لا يتطرق إليها الباطل ، من أنه ليس للرافعى فى الأدب شيوخ ، وإنما هو فريد فى فنه وفى أسلوبه ، وإنه فى ذلك مبتكر لم ينسج على منوال أحد . ولكن ما دام الأستاذ قد حاول أن يصل إلى بعض من أثروا فى أسلوبه ، ألا يجد شيئاً من ذلك فى حبيبته « فلانة » . ثم ألا يجد الأستاذ بعض الدليل على ذلك بالموازنة بين أسلوبه وبين أسلوبها فى كتابها الذى نشر قبل رسائل الأحزان بقليل ؟ ثم ألا يكون لجأها إلى المعانى البكر والديباجة المشرقة بعض ما وجهه فى فنه البيانى هذا الاتجاه ؟

فى ص ١٤١ يقول المؤلف إنه لما غضب الابراشى باشا من الرافعى نشر قصيدته فى مدح جلالة الملك فؤاد جنباً إلى جنب مع قصيدة « الأستاذ عبد الله عفيفى المحرر العربى بديوان جلالة الملك » . والصواب أن الأستاذ عبد الله عفيفى لم يلحق بمعية جلالة الملك إلا بعد هذا التاريخ ، وإنه كان حينئذ يشتغل بالتدريس، وظل يشتغل به إلى ما بعد نشر مقالات على السفود فى نقد قصائده

وحاول المؤلف عند الكلام عن نسخة الرافعى الخاصة من كتاب « كليلة ودمنة » أن يعدد ما كتبه الرافعى من هذه الفصول، فعد ثمانية فصول فى كتاب « تحت راية القرآن » . ثم قال إنه أهمل هذه النسخة الخاصة من كليلة ودمنة إلى سنة ١٩٣٣ عندما دارت المعركة حول « وحى الأربعين » . فنشر الفصل التاسع وهو « الثور والجزار والسكين » . والصواب أن الرافعى عاد إلى تلك النسخة قبل ذلك بكثير ، فقد نقل منها فصلين على ما أذكر فى « على السفود » . وقد كتبت هذه المقالات فى سنة ١٩٢٩ . وجاء فيها حكاية (حبة القمح وحجر الطاحون) ؛ وحكاية البعوضة والمنطاد (زبلن) . وعلى ذلك فهما الفصلان التاسع والعاشر من كليلة ودمنة الرافعى . ثم عاد الرافعى إلى هذه النسخة ثانية عند ما كتب « أوراق الورد » الذى تم طبعه فى ١٩٣١ ، فنى ص ٢٢٩ و ٢٣٠ من هذا الكتاب حكاية « الغزال والأسد » وهى الفصل الحادى عشر من نسخة الرافعى من كليلة ودمنة ؛ وهى حكاية طريفة أدارها على بعض ما كان بينه وبين حبيبته فلانة ، وأشار فى هامش الكتاب إلى أنها فصل من كليلة ودمنة ووعد بإتمام فصول الكتاب . وعلى ذلك تكون حكاية « الثور والجزار والسكين » هى الفصل الثانى عشر لا التاسع من كليلة ودمنة الجديد

هذه ملاحظات عنت لى فى أثناء قراءة الكتاب ، وهى لا تنقص شيئاً من قيمته التى قدمت من خبرها فى صدر المقال . ولا أختم كلمتى قبل أن أهنئ الأستاذ سعيداً على توفيقه فى هذا الكتاب الفذ . وقبل أن أنوه بتلك الفصول القيمة التى كتبها عن « رسائل الأحزان » و « السحاب الأحمر » و « أوراق الورد » ، وهى فصول لم يكتب على منوالها فى التعريف بالكتب . وأظن القارئ فى حاجة إلى أن يعيد قراءة هذه الكتب على ضوء تحليل الأستاذ سعيد مهما كان قد أطال فيها النظر والدرس قبل ذلك

أبو الفتوح رضوان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)